جامعة زيان عاشور - الجلفة -

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم الآداب

النّقد وقضاياه عند الإمام ابن سنان الخفاجي

كتابه -سرّ الفصاحة- أنموذجا

مذكرة نهاية الدراسة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر

تخصص أدب قديم

إعداد الطالبة :

قصاب وهيبة

إشراف الدكتور :

طيّب بلعدل

السنة الجامعية:

1437 - 1438 هـ / 2016 - 2017 م

الإهداء

إلى أبي قنديلاً بدّد في نفسي ظلمة أضواء الحضارة.

إلى أمي واحة الرؤيا في زمن السراب.

إلى أخي وأخواتي تَرتيلة النور بين الشفق ونجمات الصباح.

إلى الطيّبين أصدقائي ألفاً تُرشدني نحو اليَاء.

شكر وتقدير

الحمد لله من قبل ومن بعد أن يسر أمري ووفّقني إلى إنجاز هذا الجهد المتواضع، ثم الشكر الجزيل والتقدير الخالص للدكتور الطيب بلعدل

الذي تكرم بالإشراف على هذه المذكرة والذي كان عوناً وسنداً مصوباً، وموجهاً وناصحاً ومرشداً في تدريسه لي وطيلة فترة البحث .

كما أتوجه بالشكر للأساتذة المناقشين ولكل من ساعد وساهم معنــوياً ومعــرفياً في إنجاز هذا البحث.

كذلك لا أنسى الشكر الكبير لكل من علّمني حرفاً،

إلى كل هؤلاء تحيّة شكر وتقدير.

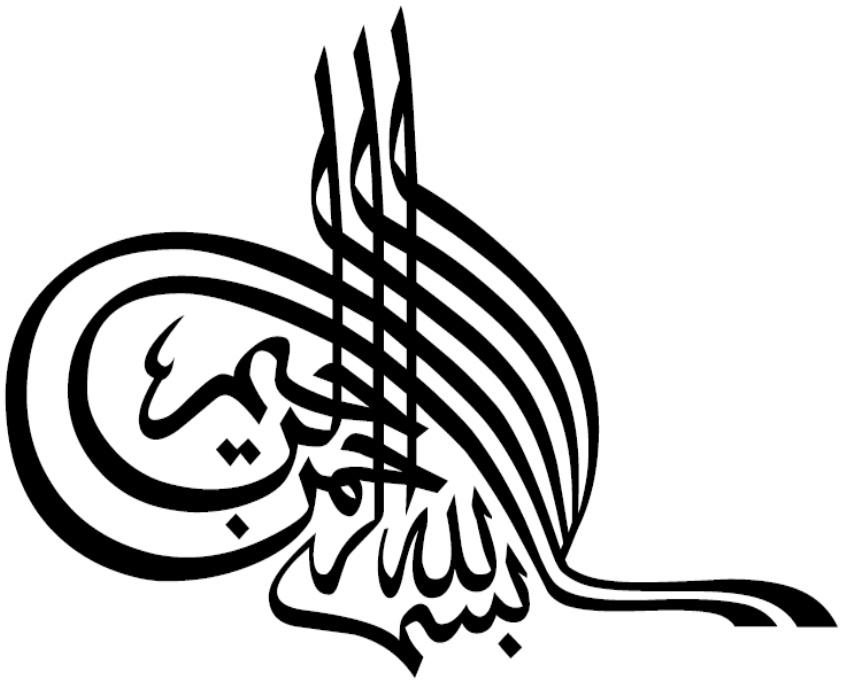
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده و نستعينه ونتوب إليه، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن مما اجتهد العلماء فيه جهودا كبيرة، وقضوا في بحثه ودراسته أعمارًا مديدة، علوم اللغة العربية، ومن البديهيات لنا أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال إدراك مرامي القرآن الكريم، والسّنة الشريفة، إلا بإتقان اللسان العربي، ومن هذا ظهر وبرز لنا علماء أكفاء، عباقرة كبار، خدموا لغة الضاد، جلوا عن الحسن والإبداع فيها، من هؤلاء العلماء الإمام ابن سنان الخفاجي – رحمه الله – موضوع هذه الدراسة، ومما يواجه المرء في كتابه " سرّ الفصاحة " ذلك العنوان الذي ينم على التشويق قبل أن يلح على مضمونه، كأنه عنوان خط على باب خلفه الكثير من أسرار اللّغة النادرة، عنوان يجعل القارئ يتلهّف لمعرفتها.

الإشكالية: موضوع البحث له إشكالية رئيسية هي:

ماهي الرؤية النقدية للإمام ابن سنان الخفاجي؟

وهل قدم جديدا يضاف للنقد الأدبي من خلال كتابه " سرّ الفصاحة " ؟

أسباب اختيار الموضوع وأهميته: اختيارنا لموضوع الدراسة وأهميّته تمثل في الآتي:

- اقتراحه من طرف الدكتور المشرف طيّب بلعدل، وبعد البحث والاستقصاء رأيت أن الإمام بن سنان الخفاجي – رحمه الله– لم يحظ بالقدر العلمي والبحثي الذي يتناسب مع ما قدمه من علوم للغة العربية عامة ، والنقد بصورة خاصة، لهذا استقر الرأي على دراسة الجهود النقدية لهذا الإمام، والله الموفق.

الدراسات السابقة:

وجدنا بعض الدراسات، في هذا الموضوع ونذكر منها :

- مؤلف كتاب (سر الفصاحة) وحياته العلمية والأدبية ابن سنان الخفاجي للباحث الأستاذ قدر إسرافيل إدريس.

- قضايا الأدب والنقد في "سر الفصاحة" ، رسالة قدمت استكمالا لنيل درجة الماجستير في قسم اللغة العربية من إعداد الطالب بلملياني بن عمر، إشراف الدكتور محمد بركات أبو علي، كلية الأدب جامعة الاردن 1988م.
- ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية في كتابه سر الفصاحة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في البلاغة للأستاذة درية ياسين عبد الرحمان أحمد، كلية اللغة العربية، جامعة ام درمان الإسلامية، سنة 2009م.

منهج الدراسة: اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي، التحليلي ، والمنهج التاريخي.

1. **المنهج الوصفي:** استخدمته في البحث عن مضمون النقد الأدبي تعريفه وتطوره عبر العصور...الخ .
2. **المنهج التحليلي:** استخدمته في تحليل قضايا النقد لابن سنان الخفاجي وجهوده .
3. **المنهج التاريخي** : وهذا من خلال التطرق لحياة مؤلف كتاب سر الفصاحة ، والفترة التي عايشها ..الخ.

خطة الدراسة: معالجة إشكالية البحث، اقتضت تقسيم الموضوع حسب الخطة التالية:

مقدمة

الفصل الأول: نشأة النّقد وتطوره.

المبحث الأول: مفهوم النقد الأدبي.

المبحث الثاني: النقد الأدبي عبر العصور.

الفصل الثاني: حياة مؤلف كتاب – سر الفصاحة– ابن سنان الخفاجي.

المبحث الأول: التعريف بابن سنان الخفاجي.

المبحث الثاني: وفاة المؤلف وآثاره.

الفصل الثالث: قضايا النّقد في كتاب " سرّ الفصاحة "

المبحث الأول: التعريف بكتاب سر الفصاحة.

المبحث الثاني: النقد عند بن سنان الخفاجي.

الخاتمة.

النتائج.

الفصل الأول

نشأة النقد وتطوره

تمهيد:

يعتبر النقد القاعدة الأساسية التي يرتكز عليه النقد الأدبي، وذلك أن أسسه مستوحاة من العمل الأدبي، فهو يستكشف أصالة الأدب أو عدم أصالته ، ويميز جيده من رديئه، وسواء كان النقد علماً أو فناً فإنه ليس قائماً بذاته ، وإنما هو متصل بالأدب ، ويستمد منه وجوده ، ويسير في ظله ، يرصد خطاه و اتجاهاته.

لذا سنتناول في:

- **المبحث الأول:** مفهوم النقد الأدبي.

المطلب الأول: تعريف النقد الأدبي.

المطلب الثاني: خصائص الناقد الأدبي.

- **المبحث الثاني:** النقد الأدبي عبر العصور.

المطلب الأول: النقد في العصر الجاهلي.

المطلب الثاني: النقد في صدر الإسلام.

المطلب الثالث: النقد في العصر الأموي.

المطلب الرابع: النقد في العصر العباسي.

المبحث الأول: مفهوم النّقد الأدبي.

إذا كان الأدب بطبيعته ينزع إلى الحرية والتجديد واكتشاف آفاق جديدة يحلق فيها ويعبر عنها ، فإن النقد على العكس من ذلك ، إنه محافظ مقيد، يقف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية يقصد الكشف عما فيها من مواطن القوة والضعف ، والحسن والقبح، وإصدار الأحكام عليها.

المطلب الأول: تعريف النقد الأدبي.

سنتطرق للتعريف اللغوي والاصطلاحي للنقد كالآتي:

الفرع الأول: تعريف النقد الأدبي لغة.

تعددت معاني النقد في اللغة ، فمنها تمييز الدراهم وغيرها وتبيين جيدها ورديئها، وذلك ما أنشده سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة * نفي الدنانير تنقاد الصيارف**[1]

ومن معانيها أيضاً " النقاش"يقال ناقد فلان فلاناً في الأمر، إذا ناقشه فيه، ومن هذا المعنى الأصلي للكلمة تحدد معنى النقد في الأدب. ذلك لأن ما يفعله الناقد من محاولة التمييز بين جيد الكلام و رديئه ، ليس إلا من حبس ما يفعله الصيرفي في نقد الدراهم والدنانير"[2].

الفرع الثاني: تعريف النقد الأدبي اصطلاحا.

قد نجد للنقد تعريفات ، كالكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي ، وتمييزها مما سواها عن طريق الشرح والتعليل ، ومن يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها ، ومن أوائل النصوص النقدية التي تتضمن كلمة نقد نص لابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء ، حيث قرر أن للشعر " صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما

[1] ابن المنظور، لسان العرب ، في مادة النقد، ج14 ، دار صادر ، 2003.
[2] الدكتور عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الادبي عند العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان : ص 8.

تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان ، زمن ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة بالبصر، ولا تعرف جودتهما بلون ولا بلمس و لا طراز ولا رسم ولا صفة ، ويعرف الناقد عند المعاينة فيعرف زائفها.."[1].

ونجد كتباً أخرى قد تطرقت للنقد الأدبي من زوايا وجوانب مختلفة ، فمن هذه الكتب : الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وعيار الشعر لابن طباطبا ، والموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني والأغاني الأصبهاني، والذخيرة لابن بسام.

فالدارس لمثل هذه الكتب حري بأن يرى أن العرب قد عرفوا " النقد الأدبي "معنى لا أسماً، أو عرفوه كما يقول الأستاذ طه إبراهيم كنها وحقيقة ، وإن لم يعرفوه عنواناً لطائفة من المسائل[2].

ونستشف من ما سبق أن المفهوم الاصطلاحي لكلمة نقد هو تمييز جيّد الشعر من رديئه والذي سيبقى هو المفهوم الشائع عند النقاد القدامى.

المطلب الثاني: خصائص الناقد الأدبي.

الناقد الأدبي الذي يهمّه أن يكون نقده مثمرًا ومفيدًا لا يقصر في أن يلم ببعض الخصائص التي يجب توافرها فيه، أدرجتها كالآتي:

أهم هذه الخصائص[3]:

- أن يكون الناقد الأدبي مثقفًا ثقافةً تؤهله لممارسة النقد، والأدب فنونًا وأنواعاً، فإذا لم يكن ملمًّا بتاريخ الشعر العربي لا يمكن له أن ينصب نفسه ناقدًا لهذا لشعر.
- الناقد الأدبي لا بد أن يكون عالمًا بلغة الأدب الذي ينقده: لا بد للناقد العربي في لغة العرب أن يكون عالمًا في قواعد النحو، وأن يكون عالمًا بدلالة الألفاظ، وأن يكون خبيرًا

[1] إبن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود ، محمد شاكر ، الطبعة الثانية مطبعة المدني ، القاهرة ، 1974م ، الجزء الأول، ص 05.

[2] الدكتور عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان : ص 11.

[3] ميريهان مجدي محمود، الشروط التي يجب توافرها في الناقد الأدبي ،بحث في: النقد الأدبي، قسم اللغة العربية، كلية اللغات– جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

بالصرف، ويعرف القياس، ويعرف الجائز وغير الجائز والشاذ والمقبول، وأن يكون عالمًا بفنون البلاغة: علم البيان، والمعاني، والبديع، وأن يكون ملمًّا بالعروض، ومعرفة الأوزان والقوافي، وعيوب القافية، وما يجوز وما لا يجوز من ضرورات الشعر، وعليه كذلك أن يكون ملمًّا بتاريخ الشعر العربي والأدب العربي بصفة عامة، ومدركًا لحقيقة هذا الأدب وأصوله، والفرق بينه وبين الآداب الأخرى.

- والناقد الأدبي كذلك لا يستغني عن معرفة التاريخ؛ ومعرفة الأحداث السياسية والاجتماعية التي تؤثر في الأدب وتتأثر به، ولا غنى للناقد الأدبي عن معرفة العقائد والأديان ومعرفة الفلسفة؛ لأن ذلك يؤثر في الأدب والأدب يتأثر به كذلك.
- ولا يستغني الناقد الأدبي كذلك عن الإلمام بعلم النفس، ومعرفة طبيعة النفس البشرية وخفاياها ومداخلها وما يؤثر فيها؛ كل ذلك يعينه على دراسة العمل الأدبي دراسة جيدة ويمكنه من أن يقول حكمًا يبين فيه أوجه الصواب وأوجه الجمال وأوجه القصور أو الرداءة في العمل الأدبي.
- وكل هذه الألوان من الثقافة لا تغني شيئًا بالنسبة للناقد إذا لم يكن موهوبًا؛ فالناقد لا بد أولًا وقبل هذه الثقافة أن يكون عنده استعداد فطري وطبع موهوب؛ هذا الطبع المركوز فيه وهذا الاستعداد الفطري يبني عليه هذه الثقافة حتى يستطيع أن يكون ناقدًا؛ لكنه إذا حصل قواعد اللغة والنحو وعرف التاريخ وعرف العقائد وعرف الفلسفات يمكن أن يكون عالمًا بشيء من هذه الأمور أو على علم بكثير منها؛ لكنه لا يكون ناقدًا إلا بهذا الطبع المركز فيه والموهبة التي وضعها الله عزّ وجلّ في نفسه.[1]
- بالإضافة إلى ذلك الطبع والثقافة يجب أن يكون الناقد ذا قدرة على البيان؛ لكي يكتب ويبين ويشرح ويفسر؛ لكنه إذا علم ولم يستطع أن يبين ولم يكن قادرًا على التعبير

[1] ميريهان مجدي محمود، الشروط التي يجب توافرها في الناقد الأدبي ،بحث في: النقد الأدبي، المرجع السابق. ص2.

والشرح والتفسير؛ فإن معرفته ستظل حديثة نفسه لا يستطيع أن يقدمها للقراء؛ فالقدرة على الإبانة إذن من الأمور المهمة جدًّا والشروط التي يجب أن تتوافر في الناقد الأدبي.

- كذلك يجب أن يتوافر في الناقد الأدبي العدل: فلا يكون متحيزًا لأديب من الأدباء بسبب مصلحة أو قرابة أو هوى، ولا يكون متحاملًا على أديب من الأدباء لموقف شخصي أو عداوة بينه وبينه؛ لا يمكن أن يكون النقد في مثل هذه الأحوال نقدًا نزيهًا ولا يمكن أن يكون نقدًا موضوعيًّا.
- ولا بد كذلك أن يكون هذا الناقد صاحب خيال يستطيع من خلال هذا الخيال أن يتصور الصور وأن يدرك العلاقات التي يقيمها الأديب في عمله الأدبي بين الأشياء المتباعدة عن طريق التعبير المجازي.

فكل هذا يعين الناقد على أن يكون نقده جيدًا ومقبولًا ومحايدًا وتتحقق الفوائد الكثيرة التي ذكرناها من نقده بالنسبة لنفسه، وبالنسبة للأديب، وبالنسبة للقراء.

المبحث الثاني: النقد الأدبي عبر العصور.

كانت مراحل تطور النقد بدايتها ما قبل التدوين التي تمّ حصرها من العصر الجاهلي إلى مطلع العصر العباسي، بدأت هذه المرحلة بالنقد الساذج البسيط الذي يصدر بطريقة عفوية وشفوية دون تدوين أو ضوابط ويسمى بالنقد الانطباعي التأثري.

المطلب الأول: النقد في العصر الجاهلي.

عندما ننظر للشعر الجاهلي نجد أنه وصل إلى مستويات عالية من الجودة والإتقان، حيث خضع لأنواع من التهذيب حتى بلغ مبلغ الكمال من الإتقان.

وظهر ذلك من خلال المعلقات إذ يراجع الشاعر قصدته ويعيد النظر فيها فتمكث حولاً كاملاً عنده يحسنها ويهذبها ويقومها كما يظهر عند أصحاب الحوليات.

وكانت أسواق العرب في الجاهلية . وأشهرها سوق عكاظ مركز تلاقي الأدباء فيجتمع فيه الشعراء من قبائل عدة فينشرون ما لديهم من جديد الشعر، فيتلقاه المستمعون بالتعليق والنقد، ويذر من هذه الأسواق علماء بالشعر يتحاكم إليهم الشعراء بجودة قصائدهم[1].

بالإضافة أيضا إلى الموازنات التي كانت تعقد بين بعض الشعراء، كتلك التي عقدت بين "امرئ القيس وعلقمة الفحل في وصف الفرس"[2].

ومن القضايا التي أثارها النقد في العصر الجاهلي ، إبراز بعض العيوب الفنية ومن ذلك الإقواء، و دار حول الأخطاء اللغوية الجزائية[3].

كانت هذه بعض المظاهر التي يستدل بها في النقد للعصر الجاهلي.

---

[1] النقد الأدبي القديم أصوله وتطوره ،سعود عبد الجبار ، أصوله وتطوره ، الطبعة الأولى 2000م ، الأردن، ص 8.
[2] مصطفى عبد الرحمن، في االنقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، دط، ،1991، ص5.
[3] المرزباني ، المؤشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1385هـ ، ص 3.

المطلب الثاني: النقد في صدر الإسلام.

إن صدر الإسلام يعني عصر الرسول والخلفاء الراشدين، أو الفترة الزمنية التي بدأت بظهور الإسلام وانتهت بقيام الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان سنة41 للهجرة.

الفرع الأول: عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.

شهد هذا العصر ظاهرة مميزة وهي القرآن الكريم حيث أحدث القرآن تأثيرا كبيرا في حياة العرب، فقد نقلهم من البداوة إلى الحضارة فتحضر بذلك أدبهم.

وكان موقف الإسلام آنذاك موقف الموجه إلى الطريق الأقوم الذي يتفق مع مبادئ هذا الدين، ليكون الشعر وسيلة لبناء المجتمع الإسلامي ودعوة للأخلاق الفاضلة، بالإضافة إلى تطوير وتجديد معانيه، وموضوعاته وأسلوبه، ولم يعد فيه مجال للمعاني الساقطة، ولم يتوقف الأثر الإسلامي في تطوير فن الشعر عند المعاني والأغراض، وإنما طور أيضا في الأسلوب والصياغة، فقد تأثرت بروح الإسلام وبعدت عن الغريب[1].

نرى أن الإسلام لم يقف من الشعر موقفاً سلبياً لا بل شجعهم وحثهم على القول ضمن إطار الفكر المتفق مع تعاليمه واتخاذهم سلاحاً من أسلحته ، ولقد رسم الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر نهجه الذي ينبغي أن يسير عليه وروى عنه قوله " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين" وكان وهو أكثر العرب فصاحة يتذوق الكلام الجيد ويخوض في حديث مع الوافدين عليه الذين أسلموا ولذا لم يكن من الغريب أن يتحدث الشعراء في مجلسه وأن يكثر اجتماعهم به . وان يعجب بالشعر الجيد كقول النابغة الجعدي :

ولا خير في حِلْمٍ إذا لم يكن له * بوادرُ تحمي صفوه أني كـدرا.**

ولا خير في جهل إذا لم يكن له * حليمٌ إذا ما أورد الأمرَ أصْدرَا.**

[1] مصطفى عبد الرحمن: في االنقد الأدبي القديم عند العرب، المرجع السابق، ص70.

وأنشده كعب بن زهير قصيدته ، "بانت سعاد" فأعجب به الرسول، وأبلغ من أعجاب بها أن صفح عن كعب ، وخلع عليه بردته التي اشتراها منه معاوية ثم توارثها الخلفاء من بعده في الجمع والأعياد تبركاً بها.

، ولما بلغ كعب في قصيدته إلى قوله :

أن الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول**

في فتيية من قريش قال قائلها * ببطن مكة لما أسلموا زولوا**

أشار الرسول إلى الخلق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير[1].

وفي عهده صلى الله عليه وسلّم إلى كانت المساجلات والمحاكمات في الشعر أمامه من ذلك ما روى أن وفداً من فرب بني تميم المعادين له قدموا عليه ومعهم من شعرائهم الزيرقان بن بدر والأقرع بن حابس، ومن خطبائهم عطارد بن حاجب ، ثم راحوا ينادونه من وراء الحجرات : يا محمد أخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك ، فأن مدحنا زين وذمنا شين. فرماهم الرسول بخطيبه ثابت بن قيس وشاعره حسان بن ثابت، فساجل ثابت عطاردا خطابة حسان الزيرقان شعراً ، وردا عليهما رداً بليغاً مفحماً ، دفع الأقرع بن حابس لأن يقول: " والله إن هذا الرجل – يعني الرسول صلى الله عليه وسلم – لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شعرائنا ، و أصواتهم أعلى من أصواتنا ، ثم أسلم القوم جميعاً[2] .

الفرع الثاني: عصر الخلفاء الراشدين.

عند تتبعنا للنقد في عصر الخلفاء الراشدين وجدنا أن الخليفة "عمر" بن الخطاب رضي الله عنه كان أكثرهم تأثيراً فيه يمكن القول : إنه ناقد مهم في ذلك العصر ، وعن عمر يقول ابن

[1] الأغاني ، أبو الفرج الأصبهاني،ج 5، ص 345.
[2] نفس المرجع السابق، ج 4، ص 17 14.

رشيق : " كان عمر رضي الله عنه عالماً بالشعر قليل التعرض لأهله "[1]، وكان على دراية وخبرة عميقة باللغة ومعرفة دقيقة بأسرارها، وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة، وروي عن أبن عباس: " قال لي عمر بن الخطاب **رضي الله عنه** : أنشدني لأشعر شعرائكم .قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال الذي يقول:

ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا * ولكن حمد الـناس بمخلـــــد**

قلت : ذلك زهير. قال فذاك شاعر الشعراء . قلت : ولم كان شاعر الشعراء؟ قال لأنه كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشعراء، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه "[2].

ونلاحظ أن عمر في حكمه النقدي هذا انتهج التعليل والتبرير و سطّر معايير لهذا الحكم: الأول خلو الشعر من التعقيد والغموض ، والثاني الابتعاد عن الوحشي والغريب، والثالث الصدق وعدم الكذب.

والواقع أن عمر ظل في إسلامه كما كان في جاهليته حفياً بالشعر شديد الشغف به ، بل ظل كذلك بعد اضطلاعه بأعباء الخلافة ، واشتغاله بمهامه التي لا تدع له من وقته فراغاً لغيره ، فكان يتمثل بالشعر ويرويه، و يستنشده من أصحابه وحفاظه ، ويستقبل الوفود ويخوض معهم في الحديث عن شعرهم وشعرائهم[3].

المطلب الثالث: النقد في العصر الأموي.

يطلق العصر الأموي على الفترة التي تبدأ بخلافة معاوية سنة 41هـ وتنتهي بغلبة العباسيين على بني أمية وانتزاعهم الخلافة منهم سنة 132هـ.

[1] العمدة، ج1، ص 76.
[2] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، المرجع السابق، ج10، ص 289.
[3] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 62.

فقد انعكست التعديلات الجديدة في سياسة الدولة على جميع نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية، وأضف على ذلك الانفتاح على الثقافات الأجنبية التي دخلت أممها في الدين الإسلامي، فقد كانت البيئة في هذا العصر مزيج من الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى التي اتصلت بها وتفاعلت معها، فقد غلب على الشعر الغزل الحضري . في الحجاز بشكل خاص . وهو شعر فيه دعابة ووصف للنساء صريح، وفيه قصص تحكي تجارب الشاعر مع النساء، وفيه جرأة على التقاليد القديمة. كل هذا وغيره كان له الأثر الكبير في حياة أفراد المجتمع والناقد أحد أفراد هذا المجتمع[1].

ومما ظهر جليا في هذه الدولة الجديدة . التي اتبعت النظام الوراثي خلافا للشورى في الحكم . الاهتمام بالجانب الدنيوي أكثر من الجانب الديني، فالمسلمون الأوائل عملوا على ترشيد الحركة الشعرية وتوجيهها الوجهة السليمة الصحيحة، ومن الطبيعي أن تتغير موازين تقويم الشعر الموجه لخدمة سياسة بني أمية. لذا كان الجانب الجمالي في النقد لم يتغير كثيرا وذلك لعدة أسباب منها[2]:

- اهتمام الأمويين بأخبار الجاهليين كثيرا وتراثهم الأدبي.
- حرص الحكام على تنشئة أبنائهم تنشئة عربية على غرار العرب القدامى وأذوقهم.
- توافد الشعراء العرب على قصور الملوك والأمراء.
- حضور علماء اللغة والنحو في مجالس الحكم.
- ظهور المدارس النقدية مثل: مدرسة الحجاز، مدرسة الشام.

المطلب الرابع: النقد في العصر العباسي.

يعد العهد العباسي أكثر العهود ازدهارا للعلم والأدب والفن، فهو عصر رقي الحضارة الإسلامية ونضوج الثقافة، فقد صنفت كتب في مختلف العلوم المتداولة مما أتاح المجال لتنامي

[1] نفس المرجع السابق، ص 80.

[2] عبد القادر هني، قراءة في كتاب"دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي"، مجلة مقاليد، العدد الخامس، ديسمبر 2013، ص201.

العلم والأدب وكانت بغداد مركزا للخلافة ولاتخاذ القرارات السياسية لدنيا الإسلام، وقد قصدها العديد من كل صوب وحدب بغية نيل السلطة والثروة، الأمر الذي أدى إلى توثيق العلاقة بين الثقافات والحضارات المختلفة. كما قصدها أيضا أهل العلم والأدب، وكان اهتمام الخلفاء بهم قد لعب دورا مهما في تقدم العلم والثقافة الإسلامية حيث أثار الرغبة لجمع الأشعار وحفظها وروايتها.

وفي هذا المجال اختص الأدب والنقد بسهم وافر من الاهتمام واتخذ التأليف الأدبي اتجاها علميا وفلسفيا حيث بذلت العناية بسيرة الشعراء والكتاب ونقد آثارهم ومن ثم راج النقد الأدبي في الشعر والنثر[1].

ومن جملة الكتب المهمة في تاريخ النقد الأدبي، ولعلها من أقدم الكتب التي ظلت ماثلة على جبين الدهر كتاب طبقات الشعراء تأليف أبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي[2]، وكان من أهل البصرة وتتلمذ على كبار أدباء ورواة عصره مثل:حماد، وخلف الأحمر، وأبي عبيدة، والأصمعي، ولا يتبع هذا الكتاب نظما وترتيبا.

وفي هذا العهد سعى النقد الأدبي ليكون بعيدا عن تأثير الإحساس العاطفي الذاتي معتمدا على التحليل والبرهان لذلك فقد ظهرت قواعد دقيقة ومنهجية في النقد؛ ونقد العصر العباسي يتشعب إلى ثلاثة اتجاهات: الأول، الاتجاه اللغوي والثاني، الاتجاه الذوقي والثالث، اتجاه العلماء مثل قدامة بن جعفر " الذي تأثر إلى حد كبير بالعلوم اليونانية "[3].

[1] محمدباقر الحسيني، النقد الأدبي في العصر العباسي، مجلة التراث الأدبي، العدد الثالث، 1388هـ، ص 38.
[2] انظر: الأنباري،: 15؛ وزيدان،ج2، ص114
[3] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة- دار الثقافة، لبنان، د.ط، ،1973، ص15.

الفصل الثاني

حياة مؤلف كتاب – سر الفصاحة–

ابن سنان الخفاجي

تمهيد:

ارتأيت هنا الالتفات إلى شخصّية ابن سنان، فقد أقدمت على بيان مكانة هذا الأديب والتّعريف به وبشخصيته والآثار التي تركها من خلال هذا الفصل.

لذا سنتناول في:

- **المبحث الأول:** التعريف بابن سنان الخفاجي.

المطلب الأول: الحالة السياسية والاجتماعية في عصر المؤلف.

المطلب الثاني: مولد ابن سنان الخفاجي.

المطلب الثالث: شخصية المؤلف ابن سنان الخفاجي وصفاته العلمية والثقافية.

- **المبحث الثاني:** وفاة المؤلف وآثاره.

المطلب الأول: وفاة ابن سنان الخفاجي وذكره في كتب اللاحقين.

المطلب الثاني: آثار المؤلف بن سنان الخفاجي العلميّة الأدبية.

المبحث الأول: التعريف بابن سنان الخفاجي

قد فات معظم أقطاب التّاريخ الأدبي الحديث عن شخصّية ابن سنان، أو حصل ما حملهم على إهماله كباعث من عصبّية أو ذريعة من حميّة مذهبّية أو دينّية، حيث قال الّدكتور عمر الصّباغ : "وفي اعتقادي أنّ الرّاغب الذي نسب عند فريق إلى مذهب المعتزلة، قد أجحف حقّه من قبل الّدارسين الذين كانوا يرفعون راية السلفّية ويحاربون ما اعتبروه بدعة في الاجتهاد وحكموا عليه بالبطلان"[1] .

المطلب الأول: الحالة السياسية والاجتماعية في عصر المؤلف.

قد قامت دولة المرداسيين[2] في حلب الشّهباء[3] ببلاد الشام، حيث دامت أكثر من نصف قرن من الزمان، استطاعت أن تعيد إلى هذه المدينة نضارتها حينما جّددت العصر الحمدانى بكل مظاهره وأشكاله، فالعصر المرداسيّ خليفة العصر الحمدانيّ في كل شيء، وعلى الرّغم من الاضطراب السياسي والفساد الاجتماعي الّذي يسود بيئة حلب من وقت إلى آخر، إلاّ أّنه يمكن القول بأنّ الحالة السياسيّة لتلك الفترة كانت مزيجا من الاستقلال والتّبعيّة للفاطميين في مصر[4].

ولقد عمل المرداسيون على رّد المظالم إلى أصحابها مماّ ساعد على إحساس الّناس بالحرّية الاجتماعية و مكّنهم من ممارسة البحث العلمي، والتركيز في الاتجاه الفكري والخلق والإبداع الفنيّ، وذلك أن الحياة العلمية والادبية في عصر المؤلّف قد حافظت على المستوى الذي

---

[1] انظر ماكتبه الدكتور عمر الصباغ ، قبل فاتحة الكتاب تحت عنوان (الراغب الأصفهاني وكتابه) - محاضرات الأدباء،ج 1 ، الطبعة 5، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، 1420هـ، ص7.

[2] انظر: المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، (المتوفى237 :هـ)،ج7–ص ،831.الطبعة: الأولى، الناشر: المطبعة الحسينية المصرية،عدد الأجزاء : 4. –في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة صار أمر حلب إلى صالح بن مرداس الكلابي وأولاده من بعده، فنسبت إليهم دولة المرداسين.

[3] اسم حلب عربي لا شك فيه ، وكان لقبا لتّل قلعتها ، وآنما عرف بذلك لأن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا اشتمل من الأرض المقدسة، ينتهي إلى هذا التّل فيضع به أثقاله ، ويبّ ث رعاءه إلى نهر الفرات). انظر زبدة الحلب من تاريخ حلب تأليف تقّ ي الّدين ابن العديم666 :هـ ص :،9فصل ذكر حلب في قديمالزمان وتسميتها، تحقيق:سامي الّدهان، الجزء الأّول، أما معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي،جـ ،3ص،366 دارالفكر، بيروت، يناقش هذا الّرأي، ويقّرب الكلمة إلى العبرانية أوالّ سريانية.

[4] انظر : قدماء ومعاصرون ، د سامي الّدهان ، ص : ،61دار المعارف بمصر8968– م.

وصلت إليه في العصر الحمداني الزّاهر على يد مجموعة من العلماء والأدباء العظام، مثل: ابن خالويه اللّغوي 370هـ، وابن نباته الخطيب المفّوه 405هـ والفارابي الفيلسوف 339هـ، وأبو الطّيب المتنبي الشاعر الفيلسوف ،وابن جني 392هـ وابن سينا والسلامى و أبى فراس 357هـ وغيرهم ، ولا شك أنّ ابن سنان المؤلّف قد تتلمذ على تلاميذ هؤلاء العباقرة ، فجاء خلفا لهؤلاء النّوابغ ، تماما كما جاء العصر المرداسي خليفة العصر الحمداني.

فمن عادات العرب قديما من أراد أن يشقّ طريق النّجاح والنّبوغ والشهرة عليه أن يملأ صدره بالعلم والمعرفة ، ويقرأ الشّعر ويحفظه ويرويه ، وأن يسمع غيره في حلقات الأدب ، ويلوذ بعلماء وأدباء عصره كما أن الحكّام والأمراء ساهموا بإطلاق الحوافز والمنح للمبدعين، كما هو الحال في أغلب فترات العصر العباسي .

وفي تلك الفترة قد سادت أفكار المعتزلة ومبادئهم، التي تدفع إلى دراسة اللغة وآدابها والإحاطة بهما، وذلك لتخيير التّعبير الجيد الملائم لطرح الفكرة، كما كان يوصي (بشر بن المعتمر)[1] المتوفي سنة 210هـ وهو الأسبق في وضع أصول البلاغة كما صوّرتها وصيته المشهورة للأدباء، ممّا جعل الجاحظ المتوفي سنة 255هـ بعده يكتب فصولا في البلاغة في ثنايا كتبه ولاسيّما البيان والتّبيين، كما عني المعتزلة من بعدهم بالكشف عن وجوه الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم.

وفي هذا الجو السياسي والبيئة العلمية الناضجة بالتأليف، وفي هذا المجال الاجتماعي الذي اختلت فيها القيم وكثرت فيه الصراعات على السلطة، عاش مؤلف كتاب سرّ الفصاحة وربيّ في نفسه حبّ النقد والبلاغة ومَلكة التأليف سواء باتّصاله بشيوخه مباشرة كما هو الحال مع أبي العلاء المعرّي الشاعر الفيلسوف 449هـ ، أو عكوفه على كتب السابقين فهماً وتذوقاً.

[1] البشير بن المعتمر، العلامة أبو سهل الكوفي شيخ المعتزلة وصاحب التصانيف، كان شاعرا متكلما ذكيا فطما وطال عمره، وله كتاب تأويل المتشابه وكتاب الرد على الجهال، وكتاب العدل وأشياء، مات سنة 210هـ ، أنظر سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي،ج8 ، طبعة 1427هـ/2006م ،دار الحديث، مصر، ص 337.

ابن سنان الخفاجي الأديب والشّاعر الذي يؤمن بالعلاقة الأيدة التي تربط بين الإنتاج الادبي وصاحبه إذ يقول: " فإنّ كلام الإنسان ترجمان عقله، ومعيار فهمه وعنوان حسّه والدّليل على كل أمر لولاه لخفى منه ..."[1].

المطلب الثاني: مولد ابن سنان الخفاجي

ابن سنان هو الأمير الشاعر، العالم ، الأديب ،أبو محّمد عبد الله بن محّمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ، ولقد اتفقت المصادر الّتي ترجمت له أنّ اسمه : عبد الله بن محمد بن سنان ، واتفقت في نسبه إلى قبيلة خفاجه[2]، وهى قبيلة عربّية تنتمي إلى عدنان وقال أيضا مفتخرا بمجد جدّه سنان الّذي كانت له مكانة وشرف في قومه ، وبرفعة والدته المنسوبة إلى آسرة (مبارك من تميم)، وذلك ورد في سياق التّهديد لأحد خصومه[3]:

هلاً فَإنَّك ما تُعد مبارَكاً * خالاً وَلا تَدعو سناناً والِدا**

بيت لَهُ الَّنسب الجلِيُّ وَغيُرهُ * دعوى تُريُد أَدلَّةً و شواهدا**

ويمكن القول أنّ هذه الأسرة العربّية الّتي ينتمي إليها ، وما لها من فضل وجاه جعلها تقوم بدورها في حلب الشّهباء[4]، جعلته طموحاً للعلا، حيث يقول ابن سنان:

من مُبلغُ اللُّؤماء إنَّ مطاِمعي * صارَت حديثاً فيهُم وقَصائِدا[5]**

ويكون مولد ابن سنان تحديدا في عام 423هـ ، وما يدعم ذلك ما كتبه(ابن بطلان) إلى صديق له عام 553هـ يصف له فيها حلب في رسالة طويلة قال فيها : " إن فيها شابا حدثا

---

[1] سر الفصاحة ، ص : 290.

2 خفاجة بن عمرو بطن من بنى عقيل بن كعب ، من قيس بن عيلان من العدنانية ،كانوا يقطنون قبل الإسلام الجنوب الشرقي من المدينة ، ويملكون فيها بعض القرى والمزارع ، ثم انتشروا فيما بين الجزيرة والشام ، وكانوا كالرعايا لبنى حمدان ، يؤدون إليهم الإتاوات ، وينفرون معهم في الحروب - أنظر معجم قبائل العرب القديمة والحديثة) ، تأليف عمر رضا كحالة ، جـ 1ط،8 مؤسسة الرسالة 1997م.

3 سر الفصاحة ، مختارات من شعر الخفاجى ، ص: 11.

4 بنو خفاجه وتاريخهم السياسي والأدبي ، د محمد عبد المنعم خفاجي ، ص: 19.

5 سر الفصاحة ، المرجع نفسه، ص:11.

يعرف بأبي محمد بن سنان الخفاجي قد ناهز العشرين ، وعلا في الشّعر طبقة المحنّكين .." روى ذلك (معجم البلدان) في حديثه عن حلب[1].

وقد كتب ابن سنان إلى الشريف أبى على محمد بن محمد وهو معتقل من قبل حاكم حلب في تهمة سياسيّة ، كتب ينتصر له ، ويمتدحه لبيانه وشجاعته ، سنة 440هـ قصيدة طويلة ، افتتحها بالغزل والشوق والحنين ، ثمّ انطلق مفاخرا فقال[2]:

سبقت وما بلغت عشرا كواملا * فكيف وقد جاوزتها بثمان**

ولي في قراع النّائبات عزائم * تريك بلوغ النّجم بالّذملان**

مدحتك لا أبغى فداك و إنّما * أبوح بوّد منك غير مهان**

فيا ليتنى شاطرتك السّوء سامحا * يبسط بنان بالأذى وجنان**

وأصبح قلبانا نديمي نوائب * كما عودا في الخفض يصطحبان**

ونستنتج من هذين البيتين : التّأكيد على سنة ميلاده، وكذلك مدى جرأته وشجاعته على تحّدي الحكام ومخالفتهم، وكذلك براعته في الشعر المبكرة، وعلى هذا يكون مولده سنة 422هـ، أّما عن مكان مولده فيكون على الأرجح بطرف من أطراف حلب بقلعة عزاز من أعمال حلب، استنتاجا إلى لجوؤه إليها وانفصاله بإمارتها فيما بعد.

قد جادت قريحته بالشّعر الجيّد كما نقل عنه ، وقد انصرف إلى عبثه وهواه كعادة الشّعراء، وأنشد في كل الأغراض، يقول في الغزل مثلا[3]:

بقيت وقد شطّت بكم غربة * وما كنت أخشى أّنني بعدكم أبقى**

وعلّمتموني كيف أصبر عنكم * وأطلب من رقّ الغرام بكم عتقا**

[1] معجم البلدان لياقوت (حلب)
[2] قدماء ومعاصرون ص: 72.
[3] سر الفصاحة ، ص : 11،أنظر فوات الوفيات للكتبى ، جـ/ 1 ص ،491.

فما قلت يوما للبكاء عليكم * رويدا ولا للشوق بعدكم رفقا**

وما الحب إلاّ أعد قبيحكم * إلي جميلا والقلى منكم لشفا**

وقد تتلمذ على يد "أبى العلاء المعرّي"[1] الشاعر المتوفّى سنة 449هـ في معّرة الّنعمان القريبة من حلب، وكان يميل إلى التّشيع، يقول صاحب وفات الوفيات " كان يرى رأي الشّيعة "[2] على عكس أستاذه أبى العلاء ، وقد قال في تشّيعه[3] :

وقالوا قد تغّيرت اللّيالي * وضّيعت المنازل والحقوق**

فاقسم ما استجّد الّدهر خلقا * ولا عدوانه إلاّ عتيق**

أليس يرّد عن فدك عليّ * ويملك أكثر الّدنيا عتيق**

المطلب الثالث: شخصية المؤلف ابن سنان الخفاجي وصفاته العلميّة والثقافية

ارتوى المؤلّف من ينابيع الثّقافة العربّية في زمانه منذ الصبا وقد استعان بذكائه واجتهاده و إمكانياته الّذاتّية.

الفرع الأول: المكونات الشخصية للمؤلف.

نشأ في بيئة تحترم العلم وتقّدر العلماء ، وكان أبوه من أشراف حلب[4]، وقد أخذ العلم عن علماء عصره ، وتتلمذ على أبى العلاء المعرّي 449هـ ، فأخذ عنه الأدب والعلم ، وكان ينقل شعره ويدعوه شيخه ، ويظهر ذلك في كتابه – سّر الفصاحة – . وقد زكاه ابن النّحاس وزير

---

[1] أبي العلاء المعري، هو احمد بن عبد الله بن سليمان... المعري، يكنى أبا العلاء، أصيب بالجدري في الرابعة من عمره فعمي بسبب ذلك، وأطلق على نفسه " رهين المحبسين" البيت والعمى،كان قنوعا متعففا وبقي خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم تزهدا فلسفيا، وقد اختلف الناس في أمره، فبعضهم يعده زنديقا، وبعضهم يعده تقياً، كان في غاية الذكاء والحفظ، توفي سنة، 449هـ
أنظر كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذعب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق ، عبد القادر الأرنؤوط،، محمود الأرنؤوط، دار بن كثير، دمشق، ط 1، 1406هـ،280/3.

[2] فوات الوفيات تأليف : محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى 764هـ ، ص : 489.

[3] انظر : سر الفصاحة ، مختارات من شعر الخفاجي ، ص : 11
وفدك – بفتح الفاء والدال وهي قرية بينها وبين المدينة مسيرة يومين أو أكثر من ذلك ، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، انظر وفيات الأعيان، جـ/ ،2، ص، 491، وعتيق اسم أبى بكر الصديق .

[4] انظر وفيات الوفيات جـ 1، المرجع نفسه ، ص233.

محمود بن نصر بن صالح بن مرداس أمير حلب، فولاه قلعة (عزاز) من أعمال حلب، وكان على صداقة وثيقة بمحمود، فقد سبق وأن أرسله إلى الّروم مستنجداً بهم عندما احتدم الصّراع مع عمّه ثمال على حكم حلب الّذي كان يدعمه الفاطميون في مصر[1].

وعندما اقتسما صالح – محمود بن نصر وعمّه ثمال – البلاد بينهما ، سقطت بذلك سفارة الشّاعر الشّاب ، وعاد إلى بلاده ، وانصرف إلى شعره ، وأمطر الأمير محمودا بالمدائح، ولعلّ الأمير استلّذ بها، فأمر توليته قلعة (عزاز) وهي حصن في شمال حلب، وأرسله إليها بعد توصية من صديق الوزير أبى نصر بن النّحاس الّذي سبق ذكره وعندما أفسد الدّهر هذا الحاكم ، وانقلب إلى المال وراح يطلبه من كل ذي نعمة ، أراد أن يصادر أموال ابن سنان ، وأن يملك ما عنده ، ولا يخلو الأمر ربما من دسيسة أو مؤامرة دبّرت له في ليل على غرار ما كان يحدث في تلك الفترات المضطربة من العصر العباسيّ والصّراع على السلطة دائر على أشّده _ حتى بين الأخ وأخيه _ بين الحكام ، فلم يلبث أن أعلن التّمرد والعصيان على الأمير محمود بن صالح بن مرداس أمير حلب ، وانتهى الأمر إلى مؤامرةٍ حيكت له عن طريق ابن الّنحاس ، وكان من أعّز أصدقائه ، فدسّ له السم في خشكانة مسمومة ، كانت فيها نهايته سنة 466هـ .

كان ابن سنان يتمتع بمواهب خاصّة الّتي جعلته يستفيد ممّا كتبه العلماء والأدباء الّذين سبقوه[2]، وكان ذلك أحد مصادر ثقافته الواسعة، فقد أفاد من تجاربهم ، وقرأ كتبهم ، منهم: قدامة بن جعفر والآمدي والّرمانّ ي والمعري الّذي تأثّر به وتتلمذ على يديه، هذا ويتّضح لنا أن ابن سنان كان شخصّية أدبّية علمّية ، وكان ذا أراء واضحة سديدة ، وقد امتاز بحّرّية الرّأي والاعتداد بالّنفس، وابن سنان بتأليفه كتاب سرّ الفصاحة – وتعرضه لفصاحة المفرد والمرّكب تجده قد وضع الأساس المتين لمقّدمة البلاغة، الّتي قام بتلخيصها الخطيب القزويني المتوفي

[1] انظر زبدة الحلب ، ج 2، ص 16.
[2] كثيرا ما نجده في كتابه من ذكر الروايات الأدبية والمجالس والأحداث والشخصيات.

سنة 739هـ ، وغيره . ونقل ابن الأثير المتوفّى سنة 637هـ[1] شروطه لفصاحة اللّفظة المفردة ، وممّن تأثر به كذلك الطّوفى سليمان البغدادي المتوفّى سنة 716هـ[2] وغيرهم.

الفرع الثاني: صفات المؤلف العلميّة.

يقول أحد الباحثين : " ... إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على ما يمتاز به الخفاجي من صفاء الّذهن ، ورهافة الحسّ، ودقّة الشّعور، والخبرة الواسعة بأساليب اللّغة، والقدرة على تمييز جّيد الكلام من رديئه، و غثّه من سمينه "[3].

ومن خلال ما كتب ابن سنان، ومن خلال ما وصلنا عنه ، يمكن أن تظهر لنا صفاته، فهو حينما يتّفق مع غيره في الرأي يشكر من وفق ويحمد له صنعه ، وحينما يخالفه فلا ينتقص من شأنه بل قد يلتمس له العذر[4]. وبدون شك من أعظم الصفات أن يحترم فيها العالم أراء الآخرين ولا ينتقص من شأنهم فمثلا يقول: " معاذ الله أن يخرجنا بغض التّقليد وحب النّظر من الطّرف المذموم في الإتباع والانقياد إلى الجانب الآخر في التّسرع إلى نقص الفضلاء والتّفنيد لما لعلّه اشتبه على بعض العلماء والّرغبة في الخلاف لهم، وايثار الطّعن عليهم ، بل نتوسّط إن شاء الله بين هاتين المنزلتين، فننظر في أقوالهم ,ونتأمل المأثور عنهم ، ونسلّط صافى الّذهن ، ونرهف له ماضي الفكر، فما وجدناه موافقا للبرهان وسليما على السّبر اعترفنا بفضيلة السّبق فيه ،وأقررنا لهم بحسن النهج لسبيله ،وما خالف ذلك وباينه، اجتهدنا في تأويله و إقامة المعاذير فيه ، وحملناه على أحسن وجوهه وأجمل سبله، إيجابا لحقّهم الّذي لا ينكر، وإذعانا لفضلهم الّذي لا يجحد..."[5].

سُلّت وسلتْ ثم سُلَّ سليلُها * فأتى سليلُ سليلها مسْلولاً[6]**

---

[1] انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،لابن الأثير (المتوفى: 637هـ)المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ص: 73.

[2] وانظر : الجامع الكبير، لابن الأثير، تحقيق: جميل سعيد، ومصطفى جواد، ص 33، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد. و انظر الإكسير في علم التفسير،تحقيق :د.عبد القادر حسين،ص: 68-88ص : مكتبة الآداب بالقاهرة، مصر.

[3] الأسلوب الكنانى – نشأته وتطوره وبلاغته ، د . محمد شيخون ، ص15، ط:2، دار الهداية.

[4] قدماء ومعاصرون ، ص 79-87.

[5] انظر سر الفصاحة ، ص 144-145.

[6] المرجع السابق، ص 104.

ويقول عند نقده لبيت مسلم: " ولولا أنّ هذا البيت مرويّ لمسلم وموجود في ديوانه لكنت أقطع على أنّ قائله أبعد النّاس ذهناً، وأقلّهم فهماً، ولا يعدّ من عقلاء العامّة فضلا عن عقلاء الخاصّة ، لكّني أخال خطرة من الوسواس عرضت له وقت نظم هذا البيت فليته لمّا عاد إلى صحة مزاجه وسلامة طبعه جحده فلم يعترف به ، ونقاه فلم ينتسب له"[1].

ويقول أيضا : " وأظنّ أنّ الّذي دعا أصحابنا إلى تسمية كلّ ما في القرآن فواصل ، ولم يسمّوا ما تماثلت حروفه سجعاً، رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاّحق بغيره من الكلام والمروي عن الكهنة وغيرهم "[2]. ولا شكّ أن بلغ من تواضعه حدّا فاق غيره ، فإذا ما قيس بأبي هلال العسكريّ أو ابن الأثير.

يقول أبو الهلال العسكري معلقا على شعر الهجاء ": وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا عرفني سبقت إليه .."[3]، بينما يقول ابن سنان مثلا : " .. ولهذا لست أدعى السّلامة من الخلل ولا العصمة من الزّلل ، واعترف بالتّقصير ، وأسأل من ينظر في كتابي هذا بسط عذري، الصفح عمّا لعلّه يثره عليّ .."[4].

وممّا يجب أن يذكر أيضا مثالا على تواضعه وأدبه في نقده ، فالكتاب كلّه خير شاهد على ذلك ، يمكننا أن نقول: " كان عفا نزيها فلم يهج قائلا ، أو يعنّف ذا رأي ، ولم يكن على طول باعه ورصانة أسلوبه ورجاحة عقله بالمحّدث عن نفسه ، أو المعلن عن بضاعته"، ومن ذلك أيضا قوله : " ولهذا لست أدعى السّلامة من الخلل ، ولا العصمة من الزّلل ، وأعترف بالتّقصير ، وأسال من ينظر في كتابي هذا بسط عذري ، والصّفح عمّا لعلّه يثيره عليّ ، فإني سلكت فيه مسلكا صعبا ، وألفت منه تأليفا مقتضبا ، يجب على المنصف الإعراض عمّا يجدني أشير فيه إلى التّجاوز عنه ، والتّغمد له "، ومن الصفات التي عرف بها : أمانته العلمّية في كل ما ينقله

[1] انظر سر الفصاحة ، ص 104.
[2] المرجع نفسه،ص 174.
[3] ديوان المعاني – أبو الهلال العسكري ، ج1، ط1 ، دار الأضواء، 1989م ، ص216.
[4] انظر سر الفصاحة المرجع نفسه، ص85.

عن غيره ، فلم يدع لنفسه رأيا بل ينسب الرّأي لصاحبه[1]، فهو حريص على أمانته العلمّية ، صادق في ما ينسبه إلى نفسه . فهو يقول : " ما اعتمّدت في تلخيصه وإيضاحه ، على أّنني لم ارجع فيه إلى كتاب مؤلّف ، ولا قول يروى، ولا وجدت ما ذكرته مجموعا في مكان، وإنّما عرفته بالّدربة والتّأمل في أشعار الناس"[2].

مؤلّف كتاب سرّ الفصاحة (ابن سنان الخفاجى) كان ناقداً وشاعراً وبلاغيّاً مرهف الحسّ، لماحاً ذكياً، يستوفى المسائل العلمّية حقّها من الدّرس والتّحقّق ، مقدراً حقّ العلماء، معترفاً بفضلهم ، ومقيماً لهم العذر إن أخطأوا ، راغباً عن الخلاف والطّعن ، ويعترف بالتّقصير تواضعاً، ولا شكّ أنّ من أعظم صفاته المتعلّقة بالعلم احترامه لأستاذه وتوقيره، يقول المؤلّف : "وكان شيخنا[3] يذهب إلى أنّ قصيدة كثير.."[4]، وقوله كان شيخنا يعيب قول أبى الطّيب .."[5]، وقوله : " وأجاز لنا في بعض الأيام شيخنا أبو العلاء "[6]. وخلاصة ما يمكن قوله أنّ مؤلّف كتاب سّر الفصاحة – ابن سنان الخفاجي – يعتبر من أشهر علماء اللّغة العربّية وآدابها الّتي عاشت أخصب فتراتها في القرن الخامس الهجري ، ذلك العصر الّذي تجسدت فيه العديد من الآثار العلمّية والأدبّية الخالدة على مرّ التّاريخ[7].

بدأ مؤلّف كتاب سّر الفصاحة حياته شاباً طموحاً ، جادت قريحته بالشّعر الجيّد ، الّذي سجّل فيه ما جال في نفسه من خواطر وأحاسيس ، وقد تتلمذ على شعراء وأدباء وعلماء عصره ، وصار على مذهب أبى العلاء المعّري الّذي يسمّيه شيخه، وكان معجبا به ، فيقول : " وجرى بين أصحابنا في بعض الأيام ذكر شيخنا أبى العلاء بن سليمان ، فوصفه واصف من الجماعة

[1] المرجع السابق،ص 93.
[2] مرجع سابق، ص 180.
[3] يظهر من خلال قوله في كتابه: شيخنا –عن قدامة- عن الآمدي ...
[4] سر الفصاحة ،ابن سنان الخفاجي، المرجع السابق، ص 181.
[5] مرجع نفسه، ص 183.
[6] مرجع نفسه، ص 103.
[7] قدر اسرافيل إدريس، مؤلف (كتاب سر الفصاحة) وحياته العلمية والأدبية ابن سنان الخفاجي، ص13.

بالفصاحة واستدلّ على ذلك بأنّ كلامه غير مفهوم لكثير من الأدباء، فعجبنا من دليله ، وان كنّا لم نخالفه في المذهب "[1].

ويمكننا أن نفهم من قوله هذا عّدة أمور منها أنّه تتلمذ على يدي أبى العلاء ، أنّ أبا العلاء كان محطّ إعجاب ابن سنان ويسير على مذهبه ، ومع ذلك قد يخالفه في بعض الآراء كما هو الحال في غموضه ، كما نفهم أيضا إعجاب الآخرين بفصاحة أبى العلاء وبيانه، كما فيها نفهم من هذا القول أنّ المؤلّف كان يختلف إلي هذه الحلقات العلمّية الّتي تدار المناقشات والآراء العلمّية مع طلاّب ومحبي العلم من حوله ، وذلك حول الموضات العلمّية ومدارسة آراء العلماء كما هو الشّأن مع أبى العلاء[2] .

كما عرف مؤلّف كتاب سّر الفصاحة – ابن سنان الخفاجى – بحبّ القراءة و كثرة الاطلاع على آثار السّابقين ، كما تمّيز بالحسّ المرهف والتّواضع الشّديد واحترام العلماء الآخرين وبالأمانة العلمّية ، وله آثار باقية في البلاغة والّنقد والشّعر وعلوم القرآن ، فقد اجتمع له كل شيء في سبيل الإجادة من ثقافة واسعة في النّقد ، ووقوف على مختارات الشّعر وذلك يبدو جليا في كتابه – سّر الفصاحة– وقد كان أستاذاً في الّشعر ناقدا فيه، وكان ينتظر على يديه الكثير في مجال اللّغة والشّعر[3].

وقد اتّفقت المصادر الّتي أّرخت له ، وكذلك ما وصل من أشعاره على شّدة مطمحه وتطلعاته السّياسيّة الّتي توّجها بتولية حصن عزاز من أعمال حلب ، ولكن هذه الطّموحات كانت هي سبب رحيله المبكّر عن الحياة .فكان ممن قتلهم طموحهم ، ولم يحقّق شيئا من مطامحه الّتي يقول فيها :

من مبلغ اللّوام أنّ مطامحى * صارت حديثا بينهم وقصائد .**

[1] سر الفصاحة المرجع السابق، ص 71.
[2] اسرافيل إدريس، مؤلف (كتاب سر الفصاحة) وحياته العلمية والأدبية ابن سنان الخفاجي، المرجع السابق، ص 13.
[3] سامي الدّهان، قدماء ومعاصرون، المرجع السابق، ص 85.

وحرمنا من موهبته العلميّة والأدبّية ، وذهب بذلك ضحيّة كيد الغادرين ، وضحيّة الصّراع على السّلطة والتّنافس على الّنفوذ والسّلطان.

المبحث الثاني: وفاة المؤلف بن سنان الخفاجي وآثاره.

وقد عاجلت المنيّة بن سنان وهو في ذروة شبابه ، فدفع ثمن طموحه ولم يتخطّ الأربعين ، وذلك بسبب مؤامرة نسجت له أثر تمّرده على محمود بن صالح حاكم حلب ، وإعلانه الاستقلال بقلعة عزاز تاركا آثارا له من الكتب القيمة والأشعار.

المطلب الأول: وفاة بن سنان الخفاجي وذكره في كتب اللاحقين.

الفرع الأول: وفاة بن سنان الخفاجي.

لجأ محمود بن صالح حاكم حلب بمساعدة وزيره أبى نصر الّنحاس إلى أسلوب الخداع والمؤامرة في قتل بن سنان ، فدسّ له السّم في خشكنانة[1] مستفيداً من العلاقة الحميمة الّتي كانت تجمع بينهما ، فلمّا أكلها بن سنان مات مسموماً ، وكانت وفاته في سنة ست وستين وأربعمائة هجرّية (466هـ)، وحمل إلى حلب ودفن فيها ، والّرواية الكاملة لتلك القصّة وردت في كتاب – فوات الوفيات– [2]، كما أّرخ لوفاته مصّنف –الّنجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة– الذي حدد وفاته بسنة 466هـ ويقول : "وفيها توفي عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان – أبو محمد الخفاجي الحلبي الشاعر المشهور ، كان فصيحا فاضلا ، أخذ الأدب عن أبى العلاء وغيره ، وسمع الحديث ، وبرع فيه ، ومات بقلعة إعزاز من أعمال حلب"[3] .

الفرع الثاني: ذكر المؤلف بن سنان الخفاجي في كتب اللّاحقين

ذكر بن سنان في بعض كتب اللّاحقين به قديماً وحديثاً واهتمامهم به نذكر من هذه الكتب الآتي:

---

[1] الخشكنان : تكلمت به العرب ، قال الراجز : يا حبذا الكعك بلم مثرود *** وخشكنان وسويق مقتود
وهو: دقيق الحنطة، إذا عجن بشيرج، وبسط ومليء بالسكر واللوز والفستق وماء الورد، وجمع وخبز، وأهل الشام تسميه المكفن ، انظر الهامش في : المحاضرات والمحاورات، لجلال الدين السيوطي، ج1، ص 173.

[2] فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ، ط: بولاق، 1283هـ.

[3] أنظر النجوم الزاهرة تصنيف : حمال الدين ثغرى بردى الاتابكى ، ص 96.

أولا: كتاب (المثل السّائر) لضياء الدّين بن الأثير.

يعدّ هذا الكتاب في طليعة الكتب العربيّة الأصيلة، بما حوى من الآراء والأفكار التي تدور حول فنّ الأدب، في عصر ابن الأثير، وفي العصور التي سبقته، وهي التي زخرت بكثير من أصول تلك الصّناعة التي اهتدى إليها العلماء وكبار الأدباء والنّقاد الذين يعرفهم تاريخ الأدب والنّقد عند هذه الأمّة العربيّة، وتقرأ فيه أيضا آثار معرفة واسعة بعلوم العربيّة لا يعرفها إلا المختصون بدراسة أصولها، والمتبحّرون في فقه لغتها، والعاكفون على معرفة نحوها وصرفها، وأساليب التعبير عنها، وقد قال ابن الأثير في خطبة المثل السائر عن علم البيان : "وقد ألّف النّاس فيه كتُبا، وجلبوا ذهبا، وحطبوا حطبا، وما من تأليف إلّا وقد تصفّحت شِينه وسِينه, وعلمت غثَّه وسمينه، فلم أجد ما ينتفع به في ذلك إلّا كتاب –الموازنة– لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، وكتاب –سرّ الفصاحة– لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي"[1].

وقد نقل ابن الأثير من كلام ابن سنان الخفاجي في –سّر الفصاحة– ، وناقشه في مواضع أخرى، وهو قد سبقه بنحو قرنين من الّزمان ، يقول مثلا: " ورأيت أبا محمّد عبد الله بن سنان الخفاجي –رحمه الله تعالى– قد خلط الاستعارة بالتّشبيه المضمر الأداة، ولم يفّرق بينهما"[2].

ثانيا: كتاب (الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور) لابن الأثير.

يقول في مفتتحه: "أما بعد فلما كان تأليف الكلام ممّا لا يوقف على غوره، ولا يعرف كنه أمره، إلاّ بالاطّلاع على علم البيان، الذي هو لهذه الصنّاعة بمنزلة الميزان؛ احتجت حين سدوت نبذة من الكلام المنثور، إلى معرفة هذا العلم المذكور، لشّرعت عند ذلك في تطلبه، والبحث عن تصانيفه وكتبه، فلم أترك في تحصيله سبيلا إلاّ نهجته، ولا غادرت في إدراكه بابا إلاّ ولجته، حتّى اتّضح عندي باديه وخافيه، وانكشفت لي أقوال الأئمة المشهورين فيه؛ كأبي الحسن علي بن

[1] انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب المتوفي سنة 637هـ، مكتبة العصر للطباعة والتوزيع ، بيروت، 1420هـ، ص 371.
[2] المرجع السابق،ج2، ص 87.

عيسى الرماني، وأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، وأبي عثمان الجاحظ، وقدامة بن جعفر الكاتب، وأبي هلال العسكري، وأبي العلاء محمّد بن غانم المعروف بالغانمي، وأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي، وغيرهم ممّن له كتاب يشار إليه، وقول تعقد الخناصر عليه"[1].

ثالثا: كتاب سرور (النفس بمدارك الحواس الخمس).

يقول مؤلف هذا الكتاب وهو أبو العّباس أحمد بن يوسف التيفاشي: "ورأيت أبا محّ مد عبد الله بن سنان الخفاجي قد ذكر بابا من الأبواب في كتابه؛ فقال : ينبغي ألّا تستعمل في الكلام المنظوم والمنثور ألفاظ المتكلّمين والنحّويين والمهندسين، ومعانيهم، ولا الألفاظ التي تختصّ بها بعض المهن والعلوم؛ لأنّ الإنسان إذا خاض في علم وتكلّم في صناعة وجب عليه أن يستعمل"[2].

رابعا: كتاب (خزانة الأدب وغاية الأرب) لابن حجّة الحموي.

في ذكره للسّهولة قال:" ذكرها التيفاشي مضافة إلى باب الظّرافة، وشركها قوم بالانسجام، وذكرها ابن سنان الخفاجي في كتاب: –سّر الفصاحة–، فقال في مجمل كلامه: هو خلوص اللّفظ من التّكلف، والتّعقيد والتّعسف في السّبك"[3].

خامسا: كتاب (تاريخ النّقد الأدبي عند العرب) لإحسان عبّاس.

اختلف تقبل النّاس لكتاب النّكت، فاعترض كثيرون على الحدود فيه، وتأثر بعض البلاغيين به ونقلوا آراءه وأمثلته، ووقف الباقلاني من تعليله لإعجاز القرآن عن طريق أنواع البديع موقف الحذر، ورفض ابن سنان الخفاجي أن يقبل حكمه على السّجع[4] .

---

[1] المرجع السابق ، ج1، ص 17.

[2] انظر كتاب :سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، لأبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي ، هذبه: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)،المحقق: إحسان عباس، ج2، طبعة1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م، ص234.

[3] انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، المحقق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال–بيروت. لبنان، 2004م، ص 478.

[4] انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب،: دكتور إحسان عباس، طبعة4، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ص343.

المطلب الثاني: آثار المؤلف ابن سنان الخفاجي العلميّة الأدبيّة

اتفقت المصادر التاريخيّة على أنّ مؤلفاته تنحصر في الآتي:

الفرع الأول: كتاب في-سرّ الفصاحة-.

شهد له كثيرون بالمنزلة العالية وعلى رأسهم ابن الأثير الذي قال في صدر كتابة المثل السّائر: " وبعد فإن علم البيان لتّأليف النّظم والنّثر بمنزلة أصول الفقه وما للأحكام وأّدلة الأحكام ، وقد ألّف النّاس فيه كتبا ،وجلبوا ذهبا وحطبا ، من تأليف إلاّ وقد تصفّحت شينه وسينه، وعلمت غثّه وسمينه ، فلم أجد ما ينتفع به في ذلك إلاّ كتاب "الموازنة لآبي قاسم الحسن بن بشر الآمدى، وكتاب سّر الفصاحة لآبي محمّد عبد الله بن سنان الخفاجي، غير أنّ كتاب الموازنة أجمع أصولا، وأجدى محصولا ، وكتاب سّر الفصاحة وإن نّبه فيه على نكتة منيرة ،فأّنه قد أكثر ممّا قلّ به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليه"[1].

الفرع الثاني: ديوان في الشِّعر.

طبع هذا الديوان ببيروت سنة 1316هـ ، ويقع في مائة وست صفحات (106 صفحة)، وقد أشير إليه في عّدة مراجع وهو في طبعة حجرّية ، يقول الّدكتور سامي الّدهان في كتابه قدماء ومعاصرون: "ابن سنان الخفاجى شاعر فحل من شعراء ذلك العصر ، ولم ينصفه المعاصرون ، مع أنّه كان طامحا طموح غيره من كبار الشّعراء إلى سدّة الإمارة في السّياسة والشّعر"[2] .

وكان شاعراً من الشّعراء القادرين في عصره ، لا يقلّ عنهم قوة وتمكنا ، إذ كان يقتحم كغيره مختلف أبوابه ، وهذا ابن خلّكان يذكر الحصن الّذي خرب بالزّلازل فى سنة 552هـ وقُتل كلّ من فيه من بني منقذ تحت أنقاضه، ويذكر رأس هذه الأسرة وزعيمها: أبو المتّوج مقلّد بن نصر بن منقذ، الملقّب «مخلّص الدّولة» . قال ابن خلكان في مصنّفه ، يقصد ابن منقذ: " كان رجلا نبيل

[1] انظر : المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، المرجع السابق، ص 2.

[2] أنظر : قدماء ومعاصرون، المرجع السابق، ص 69.

القدر، سائر الّذكر، رزق السّعادة فى بنيه وحفدته، ولم يزل مخلّص الدّولة في رياسته وجلالته، إلى أن توفي في ذي الحجّة سنة خمسين وأربعمائة 450هـ بحلب،وحمل إلى كفر طاب ، في ديوان ابن سنان الخفاجي الشّاعر أشعار له يرثيه"[1].

الفرع الثالث: كتاب في الصّرفة.

وقد بيّن فيه قضية إعجاز القران ، وقد أشار (معجم الأدباء) إلى هذا الكتاب: " قرأت بخطّ عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشّاعر في كتاب له ألّفه في الصّرفة "[2]وهو مفقود.

هذا وقد كان يأمل ابن سنان أن يؤلّف كتابا في : – البلاغة التّطبيقّية ، وذلك بأن يعمد إلى ذكر نصوص أدبّية ، شعرّية ونثرّية ، ثم يسحب عليها أحكاما في الفصاحة الّتي قّررها ،ومسائل البلاغة الّتي وضحها، ولكن نتيجة المسؤوليات السياسّية وتوليه الإمارة كما سبق أن عرفنا، والقدر الّذي عجل له النهاية ، لم يتمكن من ذلك[3].

[1] انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،لابن خلكان ، المحقق: إحسان عباس،ج 5، دار صادر، بيروت، لبنان، 1900م،ص 270.

[2] معجم الادباء ،ج3، ص 139.

[3] اسرافيل إدريس، مؤلف (كتاب سر الفصاحة) وحياته العلمية والأدبية ابن سنان الخفاجي، ص 16.

الفصل الثالث

قضايا النقد في كتاب سرّ الفصاحة

تمهيد:

بذل ابن سنان الخفاجي جهدا كبيرًا في دراسة الأدب ونقده ، فله جهود بلاغية ونقدية عظيمة وآثار بيانية نفيسة في أصول العربية وفقه لغتها، وخصوصًا في كتابه الذي سماه " سرّ الفصاحة "

لذا سنتناول في:

- **المبحث الأول:** التعريف بكتاب سر الفصاحة.

المطلب الأول: عرض الكتاب والغرض من تأليفه.

المطلب الثاني: منهج كتاب سر الفصاحة.

- **المبحث الثاني:** النقد عند بن سنان الخفاجي.

المطلب الأول: النقد عند المؤلف في البنية التركيبة.

المطلب الثاني: النقد عند المؤلف في البنية التوصيفية.

المبحث الأول: التعريف بكتاب سرّ الفصاحة.

يقول ابن سنان في سبب تأليفه لكتابه: " لمّا رأيت الناس مختلفين في الفصاحة وحقيقتها وعلم الفصاحة له تأثير كبير في العلوم الأدبية، لأن الزبدة منها نظم الكلام على اختلاف تأليفه ونقده ومعرفة مايختار منه، وكلا الأمرين متعلق بالفصاحة، بل هو مقصور على المعرفة بها، فلا غنى لمن ينتحل الأدب عند دراسة الفصاحة على النحو الذي اهتدى إليه في سر الفصاحة "[1] .

المطلب الأول: عرض الكتاب والغرض من تأليفه

أورد ابن سنان في صدر كتابه الغرض من تأليفه وذلك بقوله: " أعلم الغرض من هذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة والعلم بسرّها، فمن الواجب أن نبين ثمرة ذلك وفائدته.." أيضا نجد الكتاب بحثا مفصلا في أوصاف الفصاحة والبلاغة في اللفظ والنظم والمعنى.

وقبل أن يتحدث الكاتب عن الفصاحة مهّد لذلك بجملة من الموضوعات تشكل مقدمات ضرورية للإحاطة بالفصاحة، وذلك عندما تعرض في وصف دقيقي وتعريف مستفيض للأصوات، والحروف، والكلام، واللّغة، فبيّن حقيقة الأصوات وتقطعها، وأحوال حروفها ومخارجها وأثرها في فصاحة الكلمة، وحدد خصائص الأصوات، وبيّن أن الصوت يخرج مستطيلا ساذجا حتى يتعرض له الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيته عن امتداده فيسمى المقطع أينما وجد حرفاً واستعرض دلالة الصوت على أنه ليس بجسم، وأن الأصوات تدرك بحاسة السمع في مجالها ولا تحتاج إلى انتقال محالها.ثم انتقل إلى الحديث عن الحروف وأوضح لماذا سميت حروفا وبيّن كيف تختلف الحروف باختلاف مقاطع الصوت، وأشار إلى طرف من أحوال مخارجها، وذكر أن هناك حروفا بعضها يحسن في استعماله في الفصيح من الكلام وبعضها لا يحسن . وبين المجهور منها والمهموس ثم حدد معنى الكلام وأنه ما انتظم من حرفين فصاعدا من الحروف المعقولة إذا وقع ممن تصح منه الإفادة، ذاهبا إلى أنه يشمل المفيد وغيره، وذكر أن المفيد منه حقيقة ومجاز وأنه يرجع إلى معنى

[1] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، دار قبا للطباعة والنشر، 2003، ص6.

الخبر كما أبان أن المتكلم من وقع منه الكلام قصدًا، و أن الحكاية هي المحكي عند القوم فالتالي للقرآن يسمع منه كلام الله على الحقيقة وهي غير المحكي عند قوم آخرين وإن كانت مثله وانتصر لهذا الرأي[1].

ثم بدأ ابن سنان حديثه عن الفصاحة التي هي موضوع الكتاب والغاية من تأليفه، فبين ماهية الفصاحة ثم أدرج أنها مقصورة على وصف الألفاظ بعكس البلاغة فهي وصف للألفاظ والمعاني، وبين عن شرف الفصاحة أنها نعت للألفاظ متى ما استكملت شروطا عدّة، حيث ذكر أن عناصر تلك الشروط قسمان:

أولا: ما يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها.

فأما ما يوجد في اللفظة المفردة فثمانية عناصر:

1- أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج.
2- أن يكون لتأليفها في السّمع حسن ومزية وعلى غيرها إن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة.
3- أن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية.
4- أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية.
5- أن تكون قد عبّر بها عن أمر آخر يكره ذكره.
6-أن تكون الكلمة مصغرة في الموضع عبّر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل.
7- أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف.

ثانيا: وما يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها ببعض.

وأما عن عناصر الفصاحة في الألفاظ المؤلّفة:

[1] درية ياسين عبد الرحمان أحمد، ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية في كتابه سر الفصاحة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في البلاغة ،كلية اللغة العربية، جامعة ام درمان الإسلامية، سنة 2009م، ص 11.

أ- فمنها ما تشترك فيه الألفاظ المفردة وهي:

1- اجتناب تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام، ويرى أن التأليف على ضربين فقط: متلائم ومتنافر.

2- أن يكون التأليف جارياً على العرف العربي الصحيح.

3- أن لا يكون التأليف قد عبّر به عن أمر آخر يكره ذلك.

ب- ومنها ما يختص به التأليف مما يرجع إلى الألفاظ بانفراد أو اشتراكها مع المعاني.

وتحدث عن حسن التأليف وذلك بوضع الألفاظ موضعها حقيقة ومجازا، وذكر شروط الفصاحة ومنها: المناسبة بين الألفاظ وقد جعلها وقد جعلها من طريقين[1]:

أولا: الألفاظ من طريق الصيغة فأثرها في الفصاحة ظاهر ومن هذه المناسبة:

1- السجع والازدواج ثم بين معنى السجع وأقسامه وتحدّث عن منهج القرآن في أسلوبه وأشار بأنه لم يكن كله مسجوعًا لأن ذلك من أمارة التكلف والاستكراه، كما انه لم يخل من السجع لأن السجع من صفات الفصاحة.

2- ذكر القوافي الشعر وتحدث عن شروط حسن القافية وتحدث عن كثير من عيوبها.

3- الترصيع وبين أنه تكوّن الجمل التي يشمل عليها البيت أو الفصل المنشور مسجوعة.

4- اللّف والنشر المرتب.

5- عدم كثرة الزحاف في الشعر، وتساوي الفصول أو أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول دون العكس في النثر.

6- التجانس وحدد ابن سنان معناه وذكر أقسامه واستحسن القليل الغير المتكلف منه.

ثانيا: الألفاظ من طريق المعنى فجعلها على وجهين:

1- تقارب معنى اللّفظين.

[1] درية ياسين عبد الرحمان أحمد، ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية في كتابه سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 14.

2- تضاد معانيهما أو تقارب المعنى من التضاد، ثم ذكر أقسام الطباق وحقيقته وما يستحسن منه ممثلا لجيده و رديئه ويجعل التقديم والتأخير في الأسلوب مما يجري مجرى الطباق.

ج- ومن شروط الفصاحة والبلاغة: الإيجاز، وذكر في ذلك المقام: مقام الإيجاز، ومقام الإطناب، وبين أنه يشترط في الإيجاز وضوح المعنى وعدم خفائه، وإلا كان قبيحا مذموما، كما شرح كلاً من المساواة، والتذبيل، والإشارة.

د- ذكر أيضا من الشروط: الوضوح في الأسلوب شعراً ونثرًا.

هـ- ومما ذكره كذلك: الكناية، والتمثيل.

وأما أسباب الفصاحة التي تستعمل في صناعة تأليف الكلام فهي:

1- صحة التقسيم وتجنب الاستحالة والتناقض.
2- ألا يضع الجائز موضع الممتنع.
3- صحة التشبيه والأوصاف في الأغراض.
4- صحة المقابلة في المعاني وصحة النسق والنظم وحسن التخلص.
5- صحة التفسير والمبالغة في الغلو والمعنى.
6- الاستدلال بالتمثيل والتعليل.

ثم عرّج ابن سنان بعد ذلك كله إلى الآراء الفاسدة في نقد الشعر، وفي نقد الكلام وذلك عندما خطّأ من يفضل أشعار المتقدمين على شعر المحدثين، وناقش ذلك مفصلا للآراء مبيناً مناهج ومذاهب النقّاد في نقد الشعر.

وفي الأخير تحدث في نهاية كتابه عن الفرق بين المنظوم والمنثور وما يقال في تفضيل أحدهما على الآخر وما يحتاج مؤلف الكلام إلى المعرفة به، وذلك في نقاط هي:

- اللّغة التي هي لغة العرب.
- يحتاج من علم النحو إلى معرفة إعراب ما يقع له من تأليف.
- يحتاج الشاعر خاصة طبعا إلى معرفة الخمسة عشر بحراً، ويفتقر من علم القوافي إلى معرفة الحروف والحركات التي يلزم إعادتها، وما يصح أن يكون رويا أو ردفا مما لا يصح.
- كما يحتاج أيضا إلى معرفة المشهور من أخبار العرب وأحاديثها وأنسابها وأمثالها وسيرها ومنازلها وصفة الحروب التي كانت لها، وما له قصة مشهورة أو حديث مأثور.
- ويختص بما يفتقر إليه من معرفة المخاطبات، وفنون المكاتبات والتوقيعات، ورسوم التقليدات مع الإطلاع على كتاب الله تعالى وشريعته، وحديث رسول الله ε وسنته.
- ترك التكلف والاسترسال مع الطبع وفرط التحزر و سوء الظن بالنفس، ومشاورة أهل المعرفة وتجنب الإسهاب في فن واحد من فنون الصناعة مع بغض الإكثار والإطالة ثم ختم ابن سنان كتابه بحمد الله.

المطلب الثاني: منهج كتاب سر الفصاحة.

اتبع ابن سنان الخفاجي في كتابه " سرّ الفصاحة " المنهج الوصفي التحليلي، ومن خلاله برزت شخصية البلاغي البارع والأديب الناقد، حيث كان لروحه الأدبية الأثر البالغ في ثنايا كتابه، من ذلك إيراد الأمثلة الشعرية والنصوص الأدبية فأكثر منها وقد أوضح ذلك بقوله: " ثم نبين بعد هذا كله وأشباهه ماهية الفصاحة، ولا نخلي ذلك الفصلي من الشعر الفصيح، وكلام غريب بليغ يتدرب في تأمله على فهم مرادنا، فإن الأمثلة توضح وتكشف وتخرج من اللبس إلى البيان ومن جانب الإبهام إلى الإفصاح "[1].

ويمكن تحديد منهجه في نقاط آتية هي:

[1] محمد عبد الله ابن سعيد بن سنان الخفاجي ت (446)هـ، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، دار قبا للطباعة والنشر، 2003، ص 6.

الفرع الأول: عقد الموازنات الأدبية وإخضاع المختارات والأمثلة لمعيار دقيق في الإختيار.

وذلك بقوله: " وقد كنت مثلث في بعض المواضع الاستعارة المحمودة والمذمومة ببيتين أحدهما قول أبي نصر بن نباتة[1] :

حتى إذا بُهَرُ[2] الأباطِح[3] والرُبا * نَظَرَت إليكَ بأعيُنِ النُوَّارِ[4]**

فنظرُ أعين النوار من أشبه الاستعارات وأليقها، لأن النوار يُشبَّه بالعيون، وإذا كان مقابلا للمجتاز به، ويمر به كان كأنه ناظر إليه، وهذه الاستعارة الصحيحة الواضحة التَّشبيه[5].

والبيت الثاني قول أبي تمَّام[6]:

قَرَّتْ بِقُرَّانَ عينُ الدينِ وانْشَتَرَتْ * بالأشتَرَيْنِ عُيُونُ الشِّركِ فاصْطُلِمَا**

وقرة عين الدين وانتشار عيون الشرك من أقبح الاستعارات، لعدم الوجه الذي لأجله جعل الدين والشرك عيونا، ومع تأمل هذين البيتين يُفهم معنى الاستعارة، لأن النوار والشرك لا عيون لهما على الحقيقة، وقد قَبُحَت استعارة العيون لأحدهما وحَسُنَت للآخر والعلّة فيه أن النوار يشبه العيون، والدّينِ والشرك ليس فيهما ما يشبهها ولا يُقاربُها، وهذه طريقة متى سُلكت ظهر المحمود في هذا الباب من المذموم"[7].

---

[1] نصر بن نباتة، هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة السعدي أبو نصر من شعراء سيف الدولة بن حمدان، طاف البلاد ومدح الملوك واتصل بابن العميد في الري ومدحه، قال أبوحيان: شاعر الوقت حسن الحذو مثال سكان البادية لطيف الإنتمام بهم خفي المغاص في واديهم هذا مع شعبة من الجنون وطائف من الوسواس قال ابن خلكان: معظم شعره جيد توفي ببغداد (405)هـ.
أنظر كتاب تاريخ بغداد،أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 466/10. وأنظر كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، 774/3، وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جكال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي، دار الثقافة والإرشاد القومي، مصر، 284/4.

[2] البهر: ما اتسع من الأرض وبهرة الوادي سرارته وخيره وبهرة كل شيء وسطه، أنظر لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي ، دار الصادر، بيروت، ط1، 81/4.

[3] الأباطح: جمع الأبطح وهو الوادي وهو البطحاء وهو التراب السهل في بطونها مما جرت عليه السيول، أنظر لسان العرب، المرجع نفسه،413/2.

[4] لم يرد هذا البيت في ديوان ابن نباتة السعدي ، لكنه ورد في سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي، ص 431.

[5] سر الفصاحة ، المرجع السابق ، ص 176.

[6] هو حبيب بن أوس الطائي ، ولد بجاسم من أعلام دمشق، ونشأ بمصر، وقيل أنه كان يسقي الناس في مسجد عمرو بن العاص، وهو شاعر لطيف الفطنة دقيق المعانيمات بالموصل سنة (231هـ)، أنظر كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق: على مهنا وسمير جاهر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 414/16.

[7] ابن سنان، سر الفصاحة المرجع نفسه، ص176.

ومن ذلك أيضا قول مهيار بن مرزوية[1]:

بكيتُ على الوادي فحَرَّمتُ ماؤُه * وكيف يحَلُ الماءُ أكثَرُهُ دمُ[2]**

وقول أبي قاسم المطرز البغدادي[3]:

وَرَدَتُ وقد حـــلَ لـي مــاؤُهُ * فلمّا بكيــت عليــهِ حـــــرُمْ[4]**

فبيت مهيارٍ وإن قاربت ألفاظه عدد ألفاظ بيت المطرِّز فقد تضمن من إيضاح المعنى ما لم يتضمنه بيت المطرّز، لأن قائلاً لو قال: لم حَرُم الماء بكى عليه؟ لوجب في حق تفسير المعنى وإيضاحه أن قال: لأن دموعه كانت دمًا غلبَ على هذا الماء، والدم حرام، فقد أتى مهيارٌ بهذا التفسير في متن البيت "[5] .

فالكاتب يأبى أشعار المحدثين، ويبين أن هذا إنما بناه لأسباب منطقية قوية حسب رأيه حيث يقول: " ولو تأملت قصيدة واحدة من شعر من يدّعي القريض في هذا العصر وجدت فيها عدة أمثلة لكل ما أكره وأنكره، إلا أني أعتمد على التمثيل بأشعار هؤلاء الفحول المتقدمين في هذه الصناعة، لأمور:

أولها: صيانة هذا الكتاب عن تهجينه بذكر غيرهم.

ثانيها: أن اللفظة التي تكره في نظم هؤلاء الحذّاق تقع فريدة وحيدة يظهر مباينتها لكلاهم، فالعلم بها واضح وكشفها جلي..

---

[1] مهيار بن مرزويه الفارسي الديلمي، يكنّى ابا الحسن، وفي وفيات الاعيان أبو الحسنين، كان كاتبا شاعرًا وكان مجوسيا فأسلم، ويقال قد أسلم على يد الشريف المضني وعليه تخرج في نظم الشعر وقد أوذن كثيرا من قصائده، فقد كان طويل النفس فيها ، توفي سنة (428هـ).
أنظر تاريخ بغداد الخطيب البغدادي، 276/13، وفيات الأعيان، ابن خلكان، 359/5، أنظر سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط محمد نعيم العرقسوسي، دار مؤسسة الرسالة، بيروت،ط9، 1413هـ، 472/17.

[2] ديوان مهيار الديلمي، شرح وضبط، أحمد سالم، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط1 1999م- 1420هـ، ص 357.

[3] هو عبد الواحد - أو عبد الرحمن – بن محمد بن يحي بن أيوب، يكنى أيا القاسم ويعرف بالمطرز كثير الشعر، سائر القول في المديح ، والهجاء والغزل، وغير ذلك، توفي سنة (439هـ).
أنظر تاريخ بغداد ، 16/11، وأنظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 44/5.

[4] ورد البيت في سر الفصاحة ، ابن سنان، ص 321.

[5] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، المرجع السابق، ص322.

ثالثهما: إيثاري أن أعلمك من مقدمي الفصاحة سامحوا نفوسهم وأصبحوا في طاعة أهوائهم ليتحقق أن الزلل في طباع البشر موجود والعصمة على أكثرهم بائنة "[1].

الفرع الثاني: التأمل والتفكر مع الحياد الأدبي والعلمي بين القديم والحديث

وهذا التفكر والتأمل كان باستعراض الدواوين كاملة بحثا عن الأمثلة، ولم يفته ذكر قلة المادة الأدبية المتوفرة عنده في قوله: " وكنت أفتقر إلى تأمل الديوان الكامل حتى أظفر منه بالكلمات اليسيرة فأوردها مثالا "[2].

والجدير بالإشارة هنا أن منهج ابن سنان الإكثار من الشواهد الشعرية دون النثرية ، وأيضا يعلل لهذا المنهج، يقول: " فأما اقتصاري في أكثر ما أمثل به على المنظوم دون المنثور مع أن كلامي عليهما واحد، فإنما أقصد من ذلك لكثرة المنظوم واشتهاره، ورغبتي في أن يسهل الوزن عليك حفظ ما أذكره فإنه داعٍ وسبب وكيد "[3].

أما عن حياد ابن سنان الأدبي جاء في قوله: " وكان يُلتمس من المتأخر الحسنُ الصحيح كذلك يُلتمس من المتقدم... وما أحسب أن أحدًا ممن ينسبُ إلى العلم، ويتميزُ بصحة الفهم، يحتاج في اختيار الاستعارة إلى معرفة صاحبها وزمانه، حتى يكون حُكمُه على من تقدم مولدُه يخالف حُكمَه على من قَرُب عهده "[4].

رغم ما أشار ابن سنان إليه في النقطة السابقة إلا أنه وضّح في موضع آخر ، أن هذا المنهج ليس تعصبًا للقديم على الحديث من ناحية الزمن المجرّد[5]، وإنما لسبب آخر خارج عن نطاق الزّمن فيقول: " إنما العرب الأول لما كثُرَ الإسلام، واتصلت الدعوة وانتشرت، حضر أكثرهم، وسكنوا الأرياف، وفارقوا البدو، وخالطهم الباقي، فامتزج كلامهم بمن جاوروه من الأنباط

[1] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 96.
[2] المرجع نفسه.
[3] المرجع نفسه.
[4] المرجع نفسه، ص 186.
[5] درية ياسين عبد الرحمان أحمد، ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية في كتابه سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 21.

وعاشروه من العجم، وعُدم منهم الطبع السليم الذي كانوا عليه قبل هذه المخالطة، فهم الآن لا يُحتج بكلامهم لهذه العلة لا بأن التقدّم سببان في الصواب والخطأ "[1].

الفرع الثالث: الحرية والدقة في البحث والنّقد مع الحرص على الأمانة العلمية.

فقد بيّن ابن سنان أن منهجه انطلق من حرية البحث، والحرية في النقد ، بل يغلب الحق ولا يتبع الهوى فيما يذهب إليه يقول الآمدي في بيت امرئ القيس[2].

فقلتُ لـه لمـا تمطى بصُلبِهِ * وأردفَ أعجازًا وناءَ بكلكـلِ[3]**

اعتبر الكاتب أن هذه الاستعارة في غاية الحسن والجودة والصحّة، حيث علّق ابن سنان مناقشًا: " هذا الذي قاله أبو القاسم لا أرضي به غاية الرضى ولو كنت أسكن إلى تقليد أحد العلماء بهذه الصناعة، أو أجنح إلى إتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عمّا يقوله أبو القاسم لصحة فكره، وسلامة نظره، وصفاء ذهنه، وسعة علمه، لكنني أغلب الحق عليه ولا اتبع الهوى فيما يذهب إليه، وبيت امرئ القيس عندي ليس من جيد العبارة ولا رديئها بل هو من الوسط بينهما "[4].

ونجده أمانته العلمية واضحة فهو لا ينقل رأيا لغيره إلا ونسبه إلى صاحبه أو إلى مصدره، وكان في أغلب الأحيان يشيد بفضل الآخرين وجهودهم ويثني عليهم، ومن ذلك قوله: " وقد ذهب قدامة بن جعفر الكاتب إلى أن في صناعة تعلم الكلام موضوع لها، وذكر ذلك في كتابه الموسوم

---

[1] ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 187.

[2] امرؤ القيس بن حجر الكندي ، شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق يماني الأصل، ولد بنجد، كان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر دار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس يشرب الخمر فقال: رحم الله أبي ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، اليوم خمر وغدا أمر، وثار من بين أسد لأبيه ، قتل مسموما ودفن في أنقرة، 544م.
طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمعي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار مدني، جدة،52/1. وأنظر الأغاني أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، 105/9.
أنظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،عبد القادر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة،ط1، بيروت، 1998/، 321/1.

[3] ديوان امرؤ القيس، دار صادر بيروت، ص48.

[4] ابن سنان الخفاجي، المرجع السابق، ص 174.

– بنقد الشعر– ، وقال في كتابه – الخراج وصناعة الكتابة – عند كلامه عن البلاغة أن اللغة تجري مجرى الموضوع لصناعة البلاغة "[1].

ونراه دائما يذكر المصدر العلمي الذي أفاد منه ويسنده إلى صاحبه، ولحرصه الشديد على أمانته العلمية فإنه لم يجد مانعًا في أن ينسب إلى نفسه النسيان والسّهو بل كان ذلك أفضل من أن يميل إلى مصدر من المصادر من دون تأكيد، يقول: " وقفت في بعض المواضع على كلام في هذه الصناعة لا أعلم صاحبه قدامة أو غيره لأني قد نسيت الكتاب الذي وجدته فيه يدل على الألفاظ موضوع "[2].

نجده أيضًا كثيرًا ما يحيل في مبحث من المباحث إلى كتاب أو كتب متخصصة فيه ولا يشغل نفسه ولا القارئ بالاستطراد في ذكر موضوعات ليست هي من أهداف كتابه، ويعتبر هذا تحديدا دقيق منه لإطار البحث وعدم خروجه منه يقول: " فأني لو رمت إيضاح ذلك بجملته وإيراده بجميع أدلته خرجت عن المقصود في هذا الكتاب وأخذت في تفضيل العرب على أمم وهو يحتاج إلى جزء مميز وكتاب منفرد "[3].

[1] المرجع نفسه، ص 167.
[2] المرجع نفسه، ص128.
[3] المرجع نفسه، ص 151.

المبحث الثاني: النقد عند بن سنان الخفاجي.

حدد ابن سنان معنى الفصاحة تحديدا دقيقا حيث قال في كتابه: " وأعلم الغرض بهذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة والعلم بسرها، وهي الظهور والبيان، وهي مقصورة على وصف الألفاظ، وهي عبارة عن حسن التأليف في الموضوع المختار، ويحتاج إلى معرفتها إلى درجة ومخالطة ومناشدة، وتأمل الأشعار الكثير، والكلام المؤلف على طول الوقت وتراضي الأزمنة "[1].

وفي هذا النسق نرى أن الخفاجي جهوده النقدية طالت الكثير لفرط تمحيصه وتأمله الدقيق في المنظوم والمنثور من الكلام وقد أوجزت ذلك في بنيتيته التركيبية والتوصيفية.

المطلب الأول: النقد عند المؤلف في البنية التركيبة.

الفرع الأول: قضية النظم.

مفهوم النظم عند ابن سنان هو المنظوم من الكلام، وكان اهتمامه بهذا المنظوم من حيث اللفظ والمعنى والصياغة، حيث أنه جعل جل جهوده في اللفظة المفردة التي جعلها أساسًا للفصاحة وكان يرى أن فصاحة المنظوم من الكلام لا تتأتى إلا بفصاحة اللفظة المفردة[2].

ويرى أن اللفظة الصحيحة يُؤثِر موقعها في النظم فيقول: " وليس لأحد أن يتخل أن العذرَ في إيراد هذه الألفاظ وأمثالها تعذُّر، كما يظن بعض المتخلفين في هذه الصناعة، وذلك أنه ليس يجب على الإنسان أن يكون شاعرًا، ولا كاتبًا، ولا صاحب كلام يُؤثر ، ولفظ يروى، ولا يجب عليه لو وجب هذا أن ينظم تلك القصيدة التي وردت فيها اللفظة ولا البيت من القصيدة، فكيف نعذره إذا أورد لفظة قبيحة جارية مجرى ما ذكرناه، وهو قادر على حذف البيت كلِّه إطِّراح ذكر جميعه إن لم يكن قادرًا على تبديل كلمة منه "[3].

---

[1] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 5.
[2] درية ياسين عبد الرحمان أحمد، ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية في كتابه سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 220.
[3] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 94.

ومن هذا المبدأ أخذ الخفاجي يعرض حسن اللفظة وفصاحتها في ثمانية من الشروط والمقاييس، التي هي أساس فصاحة المنظوم من الكلام، كما يعرض لفصاحة الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض، فيذكر تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج، وأن تجد لها في السمع حسنا ومزية، وأيضًا أن لا تكون متوعرة وحشية، ولا ساقطة عامية، ولا مبتذلة، وان تكون اللفظة جارية على العرف العربي الصحيح، وأن لا تكون قد عبر بها عم أمر آخر يكره ذكره، وأن تكون معتدلة غير كثيرة الحروف، وان تكون مصغّرة في موضع عبّر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل[1].

ونرى أن الجرجاني يقرر أن الكلمات قبل دخولها في التأليف لا يتصور أن يكون بينهما تفاضل في الدلالة يقول: " وإن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة ولا من حيث هي كلم مفردة، وإن الألفاظ نثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي يليها أو ما أشبه ذلك مما تعلق له بصريح اللفظ ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع آخر كلفظ الأخدع في قول الشّاعر[2]:

تلفّت نحو الحيِ وجدتُني * وجِعتُ من الإصغاءِ ليتًا وأخدعا**

وبيت البحتري[3]:

وإني وإن بلَّغتني شرف الغنى * وأعتقْتَ من رقِّ المطامع أخدعي[4]**

---

[1] تقدم كلام ابن سنان في هذه الشروط مستوفي بشواهده في ص 37.

[2] هو الشاعر الصمة بن عبدالله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير، ينتهي إلى نسبة نزار، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الاموية شعره قليل أغلبه في الغزل وعزله عذب رقيق.
أنظر الشعور بالعور، تأليف أبو الصفا صلاح الدين خليل بن عز الدين بن عبد الله الألبكي الصفدي، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق حسين دار عمار، عمان، الأردن، ط 1، 1409هـ- 1988م، 254/1.
وأنظر المدهش، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن هادي بن أحمد الجوزي، تحقيق: مروان قباني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ- 1985م، 239/1.

[3] هو الوليد بن عبيد أبو عبادة الطائي البحتري من أهل منبج ولد بها سنة 206 هـ ونشأ بها وتأدب وخرج منها إلى العراق فمدح جعفر المتوكل على الله وخلقا كثيرا من الاكابر والرؤساء، أقام ببغداد طويلا ثم عاد إلى بلده فمات بحلب في أول سنة 285 هـ
أنظر كتاب تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، 280/3.

[4] ديوان البحتري، ص26.

فإن في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام[1]:

يا دهر قوّم من أخدعيك فقد * أضججتَ هذا الأنام من خُرقِكَ[2]**

فتجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الرّوح والخفة والإيناس والبهجة "[3].

ونرى أن الخفاجي قد استبعد كلمة "أخدعيك" واستقبحها لأن أبا تمام جعلها استعارة للدهر فيقول: " فإن أخدع الدهر من أقبح الاستعارات وأبعدها مما استعيرت له وليس بقبح ذلك خفاء لا يعرف أبو تمام الوجه الذي لأجله جعل للدهر أخادع إلا سوء التوفيق في بعض المواضع "[4].

وهذا أيضا ما وقف عليه الآمدي في قوله: " وإنما قبح الاخادع لما جاء به استعارة للدهر ولو جاء في غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ووضعه في موضعه ما قبح "[5].

وما نلاحظه أن الخفاجي لم يعرف النظم بالمعنى الذي عرف به عند الجرجاني بينما هناك تقارب في بعض الوجهات، فبينما قرر الجرجاني أن: " النظم عبارة عن توخي معاني النحو وأحكامه، وفروقه ووجوهه والعمل على قوانينه، وأصوله "[6]، ونرى الخفاجي تصب جهوده أيضا بيان ما يقتضيه النحو في فصاحة الكلمة وجريانها على العرف العربي الصحيح فيقول: " ويدخل في هذا القسم كل ما ينكره أهل اللغة، ويرده علماء من التصرف الفاسد في الكلمة، وقد يكون ذلك لأجل الكلمة بعينها غير عربية، ... وقد تكون عربية إلا إنها قد عبر بها عن غير ما وضعت له في عرف اللغة، وقد تكون على جهة الحذف من الكلمة أو الزيادة، وقد يكون إيراد الكلمة على الوجه الشاذ القليل وهو أردأ اللغات لشذوذه "[7].

---

[1] أبو تمام، تمت ترجمته، ص 41.
[2] ديوان أبي تمام، 235/1.
[3] عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 54.
[4] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 179.
[5] الآمدي،الموازنة، ص 92.
[6] عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص 328.
[7] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة المرجع السابق، ص 96، 97، 104، 105.

ويمكن القول أن جهود الخفاجي لا تقل عن جهود الجرجاني في قضية النظم، لكن هذا الأخير أوردها في كتابيه "دلائل الإعجاز"، و " أسرار اللغة"، في أن الخفاجي تناول قضية النظم من باب فصاحة اللفظة المفردة وفصاحة المنظوم، ووضع شروطا شروطا لهذه الفصاحة، وبعد تنقيته لهذه الألفاظ واستحسانه لها أخذ ينادي بوضعها في موضعها وذلك ألا يكون في الكلام تقديم وتأخير حتى لا يؤدي إلى فساد معناه، وألا يكون الكلام مقلوبا فيفسد المعنى ويصرفه عن وجهه، ومن وضع الألفاظ موضعها حسن الاستعارة، وألا يكون الكلام شديد المداخلة أو المعاظلة، وألا يعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة للذم ولا العكس، وألا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور من الرسائل والخطب ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم والألفاظ التي يختص بها أهل المهن والعلوم[1].

الفرع الثاني: قضية الوزن والقافية.

أولا: الوزن.

يقول الدكتور طبانة: " أدرك نقاد العرب أن على الشاعر إذا أراد بناء قصيدة أن يفكر في المعنى الذي يريده وأن يعد له الوزن الذي يسلس له القول عليه، ونظر في أي الأوزان يكون أحسن استمراراً، ومع أي القوافي يكون أجمل اطراداً فيركب مركبًا لا يخشى انقطاعه عليه "[2].

ويرى نقاد العرب أن الوزن يصبح مثاليا إذا كان معنى البيت تامًا مستوفى، ولم يضطر الشاعر بسببه إلى نقصه أو الزيادة فيه أو قلبه، وإذا لم يسع وزن البت المعنى الكامل اضطر الشاعر إلى إكماله في البيت الموالي، وإذا اضطره الوزن أن يحذف من اللفظ ما يتم به المعنى

[1] درية ياسين عبد الرحمان أحمد، ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية في كتابه سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 223.
[2] بدوي طبانة، أسس النقد الأدبي عند العرب، مكتبة النهضة، ط2، القاهرة، مصر، 1960م، ص 229.

عدّه النقاد إخلالا معيباً، وهذا ما أشار إليه ابن سنان ومثّل له بقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[1]:

أعـاذلَ عـاجل مـا أَشتهي * أحب من الأكثر الرائـثِ[2]**

لأنه أراد: " عاجل ما اشتهي مع القلة التي أحب إلى من الأكثر البطيء فترك مع القلة وبه تمام المعنى "[3].

وقول عروة بن الورد[4]:

عجبتُ لهم إذ يقتُلون نُفُوسَهُم * ومَقتلُهم عندَ الوغى كانَ أعذرَا[5]**

قال الخفاجي: " كأنه أراد أن يقول عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم، وقتلهم في الحرب أعذر فترك في السلم وبه تم المعنى"[6]، كما جعل الخفاجي من وضع الألفاظ موضعها أن لا تقع الكلمة حشوًا وأصل الحشو أن يكو المقصد بها إصلاح الوزن أو تناسب القوافي، إن كان الكلام منظومًا، وقصد السجع وتأليف الفصول إن كان الكلام منثورًا من غر معنى تفيده أكثر منى ذلك[7].

ومثال الكلمة التي تقع حشوا قول أبي الطيب المتنبي[8]:

نَهبتَ من الأعمارِ ما لو حوَيتَهُ * لَهُنِّئتِ الدنيا بأنَّكَ خالـِدُ[9]**

---

[1] عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، يكنى أبا عبد الله كان أحد وجوه الفقهاء السبعة من أهل المدينة، وكان ضريراً، وقد روي عن جماعة من وجوه الصحابة، كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقدمه ويؤثره وكان عالما ناسكا، فقيه ثقة، كثير الحديث واسع العلم بالشعر، توفي سنة 99 أو 102 هـ.
أنظر كتاب سير أعلام النبلاء، ابن قايماز الذهبي، 475/4. وأنظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن ابي بكر بن خلكان، المرجع السابق، 115/3.

[2] نسب البيت إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود في كتاب الأغاني، أبو الفرج الإصبهاني، 139/9.

[3] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، المرجع السابق، ص323.

[4] هو عروة بن الورد ، وقيل ابن عمرو ، وكان يلقب عروة الصعاليك، وعرف عروة بالكرم ، حتى أن عبد الملك بن مروان قال: ما سرني أن أحدا من العرب ولدني إلا عروة بن الورد، وكان حليفا في بني عمرو بن عوف وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها. أنظر الأغاني ،للأصبهاني، 82/3.

[5] ديوان عروة بن الورد، دار الكتاب العربي، ص58.

[6] ابن سنان الخفاجي ، المرجع السابق، ص 323.

[7] المرجع نفسه، ص 212.

[8] هو أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي، يكنى بأبي الطيب، ويعرف بالمتنبي، اشتغل بالأدب، ومهر فيه وقد انقطع سنوات لمدح سيف الدولة، ثم هاجر إلى مصر، وسجن فيها وهرب من سجن كافور إلى فارس، فمدح عضد الدولة البيهقي، وفي أثناء عودته قتله فاتك الأسدي سنة 354هـ.
أنظر تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، 120/4، وأنظر وفيات الأعيان، ابن خلكان، 129/1.

[9] ديوان أبي الطيب المتنبي، 277/1.

لأن قوله"لهنئت الدنيا" بمنزلة الحشو، إذ كان المعنى يتم دونه، ولو استوى أن يقول: نهبتَ من الأعمار ما لم حويته، لخلدت في الدنيا، لكان المعنى مستقيمًا، لكنه لما احتاج إلى ألفاظ يصح بها الوزن، جاء بقوله "لهنئت الدنيا" فأتى بزيادة من المدح وفضلةٍ من التقريظ والوصف لا خفاء بحسن موقعها، فهذا وما أشبهه من الحشو المحمود المختار"[1].

وأورد الخفاجي أن الحشو الذي يقع ولا تعرض في ذكره فائدة إلا ليصح الوزن هو عيب فاحش في هذه الصناعة فيقول: " وما أكثر أن تستعمل أمسى، وأصبح، وأخواتها، في هذا الموضع من الحشو، ويجب أن يُعتبر ذلك بأن تُنظَر الفائدة فيه، فإن كان الأمر الذي ذُكر أنه "أصبح" فيه لم يكن "أمسى" عليه فالفائدة حاصلة، وإن كان الأمرُ بخلاف ذلك حشو لا يُحتاج إليه، فاعتبار الفائدة فيه هو الأصل الذي يُرجع إليه، ويعوّل على النظر من جهته، ومثال ذلك أن يقال: أصبحنا مغيرين على بني فلان، فإن موقع أصبحنا في هذا الموضع موقع صحيح، لأنهم لم يكونوا أغاروا عليهم في وقت المساء ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَأَصْبَحُوا فِى دِيَارِهِمْ جَٰثِمِينَ** ﴾ (سورة هود جزء من الآية 67) لأن الأمر لم يطرقهم إلا ليلاً، فأما لو قال قائل: أصبح العسلُ حلوًا لكان قوله: "أصبح" حشوًا لأنه قد أمسى كذلك "[2].

ثانيا: القافية.

القافية هي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرًا حتى يكون له وزن وقافية، وقد أولاها النقاد اهتمامًا كبيرًا وعقدوا لها الأبواب لدراستها ومعرفة جودتها وأسباب ضعفها، وألوان عيوبها[3].

وقد أولى الكاتب ابن سنان الخفاجي خصائص الأسلوب الشعري اهتماما كبيرًا فقد تحدث عن القافية ونوّهَ بضرورة كونها متمكنة في مكانها في البيت من غير قلق ولا اضطراب وقال:

[1] ابن سنان الخفاجي، المرجع السابق، 214.
[2] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 222.
[3] درية ياسين عبد الرحمان أحمد، ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية في كتابه سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 236.

"فأما القوافي في الشعر فإنها تجري مجرى السجع وأن المختار منها ما كان متمكنًا يدل الكلام عليه، وإذا أنشَد صدر البيت عرفت قافيته كما قال بن نباتة[1] في وصف قصيدته:

خُذهَا إذا أُنشِدتْ للقومِ من طربٍ * صُدُورُها عُلمَت منها قوَافِيهَا[2]**

ونلاحظ من أبرز ما عني به الخفاجي بالناحية الفنية في الأسلوب الشعري حديثه عن عيوب القافية فيقول: " ومن تناسب القوافي: تجنب الإقواء فيها وهو اختلاف إعرابها فيكون بعضها مثلا مرفوعًا وبعضها مجرورًا، وهذا يوجد في أشعار العرب. وقد روى أن النابغة كان يقوي حتى يدخل المدينة وسمع أهلها يغنون بقوله في قصيدته التي أولها:

أمِنَ آلِ ميـَةَ رائِـحٌ أو مُغتَدِي * عَجـلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزوَدِ**

زعَمَ البـوارِحُ أن رحلَتَنَـا غَـدًا * وبـذاك خبرنَا الغرابُ الأسودُ[3]**

ففطن للإقواء وتركه "[4].

ومن عيوب القافية أيضًا "الإيطاء" فتحدث عنه ابن سنان قائلاً: " الإيطاءُ في القوافي عيبٌ، وهو أن القافيتان في قصيدة واحدة وأمثال ذلك كثيرة، فأما إن كان معنى القافيتين مختلفًا، ولفظهما واحدًا فذلك ليس بعيب، مثل أن تأتي العينُ ويرادُ بها الجارحةُ، والعين يراد بها الذهب، وغذا بعد ما بين القافيتين المتكررتين في القصيدة أصلح، وإن كان الإيطاء عيبًا على كل حال "[5].

وأورد أيضًا أن من عيوب القوافي التضمين " وهو ألا يستقلَّ الكلمة التي هي القافية بالمعنى حتى تكون موصولة بما في أول البيت الثاني، وذلك مثل قول[6] النابغة الذبياني[7]:

---

[1] نصر بن نباتة سبقت ترجمته، ص 41.
[2] ديوان نصر بن نباتة السعدي، 481/1.
[3] ديوان النابغة الذبياني، ص89.
[4] ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة المرجع السابق ، ص 272.
[5] المرجع نفسه، ص272.
[6] المرجع نفسه، ص273.
[7] زياد بن معاوية بن خباب، أبو امامة، شاعر جاهلي من الطبقة الاولى تضرب له القبة من جلد احمر بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، وكان أبو عمرو بن العلاء يفضله على سائر الشعراء توفي نحو 604م،
أنظر الشعر والشعراء، ص38.

وهم وردوا الجفـار علـى تميمٍ * وهم أصحـاب يوم عكاظَ إني**[1]

شـهدتُ لهم مواطنَ صـادقات * أتيـتُهُمُ بنُصــحِ الــوُدِّ مِنــي**

وبجهود نقد الخفاجي بالنواحي الفنية في الشعر المقفى نجد قد عالج قضية القافية وأخضعها للدراسة النقدية بخصائص الشعر.

الفرع الثالث: قضية التلاؤم بين اللفظ والمعنى.

تحدث الكثير من العلماء عن قضية اللفظ والمعنى وهي من أقدم القضايا التي عرض لها النقد الأدبي، " فقد نظر أول ما نظر إلى الألفاظ ودلالتها، وإلى التفاوت في القدرة على تركيبها وصياغتها، وإلى ما استطاعت أن تتحمله من التجارب وتتضمنه من المعاني والأفكار، وما امتازت به من ضروب التصوير والتخييل، إذ أن هذه الدعائم التي تقوم عليها الأعمال الأدبية وتتجه إليها عناية الناقد الأدبي "[2].

ونرى أن الخفاجي قد استبعد من دائرة الألفاظ التي توصف بالفصاحة ، تلك الألفاظ التي قد عبّر بها عن أمر آخر يكره ذكرهُ، فإذا اورِدَت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت، وغن كملت فيها أسباب الفصاحة، وقد مثل الكاتب لذلك في بيت لعروة بن الورد[3] العبسي في قوله:

قلتُ لقومٍ فــي الكنيـفِ ترَوحُـوا * عشيةَ بِتنـا عندَ مـا وان رُزَّحِ**[4]

فكلمة "الكنيف" أبعدها بن سنان لأن أصلها الساتر، وأيضاً، قيل للتُّرس كنيف، غير أنه قد استعمل في الآبار التي تستر الحدث، وشُهِرَ بها، لذلك كان الكاتب ينادي بإبعاد تلك الألفاظ لقبحها في موقعها حتى إنه كان يكرهه في شعر عروة وإن ورد مورداً صحيحًا.

[1] ديوان النابغة الذبياني، ص 127.
[2] أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، المرجع السابق، ص 363.
[3] سبقت ترجمة العروة بن الورد، ص50.
[4] ديوان عروة بن الورد،ص 26.

ويذهب الخفاجي إلى أن المحمود من الكلام ما دلّ لفظه على معناه دلالة ظاهرة ولم يكن خافيًا مستغلقًا، قال: " وقد قسموا دلالة الألفاظ على المعاني ثلاثة أقسام:

أحدهما: المساواة وهو أن يكون المعنى مساويا للفظ.

والثاني: التذييل وهو أن يكون اللفظ زائدا على المعنى وفاضلاً له.

والثالث: الإشارة، وهو أن يكون المعنى زائدًا على اللفظ أي انه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة ... وأن المختار في الفصاحة ، والدال على البلاغة وهو ان يكون المعنى مساويًا للفظ، أو زائدًا عليه، وأعني بقولي زائدًا عليه أن يكون اللفظُ القليلُ يدل على المعنى الكثير دلالة واضحة ظاهرة، ولا تكون الألفاظ بفرط إيجازها قد ألبست المعنى وأغمضته حتى يحتاج في استنباطه إلى طرف من التأمل دقيق الفكر، فإن هذا عندي عيب في الكلام ونقص "[1].

ومن أمثلة المساواة قول زهير:

ومهما يكن عند امرئٍ من خليقةٍ * ولو خالها تَخْفَى على الناسِ تُعلَمِ[2]**

وقوله:

إذا أنت لم تُقصِر عن الجهلِ والخَنَا * أصبحت حليمًا أو أصابَكَ جاهلُ[3]**

أما التذييل فمثاله قول الشاعر[4]:

فقدمت الأديـــــمَ لراهِشـــــيهِ * وألفـــى قولـها كـــذبًا ومينَـــا[5]**

---

[1] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 309.
[2] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 88.
[3] المرجع نفسه، ص87.
[4] الشاعر هو عدي بن زيد بن حمار بن زيد مناة، كان يسكن الحيرة ويدخل الأرياق، كان ترجمان أبروَاز ملك ملك فارس وكاتبه بالعربية وهو تميمي نصراني جاهلي، واحد فحول الشعر الجاهلي، وكان شاعرا فصيحا.
أنظر كتاب الأغاني أبو فرج الأصبهاني، 98/2.
[5] ديوان عدي بن زيد الانصاري، ص 112.

فالكذب والمين واحدٌ "[1]، وعن الإشارة فقد قال الخفاجي: " إنه لفظ موجز وهي دلالة اللفظ على المعنى وتصلح لمخاطبة الملوك والخلفاء ومن يقتضي حسن الأدب عنده التخفيف في خطابه، وتجنب الإطالة فيما يتكلف سماعه "[2].

أما عن قضية التلاؤم بين اللفظ والمعنى من القضايا التي تنبه إليها العلماء، حيث نجد أكثر نقاد القرن الخامس يميلون إلى التوفيق بين اللفظ والمعنى، ومن المعروف بداهة أن هناك ارتباطا بين الألفاظ والمعاني، فرب لفظ في المدح لا يصلح وضعه في الهجاء وعكسه صحيح، أيضا وكذلك ما كان من الجِدِّ والهزل، وفي الرثاء والتهاني وغير ذلك[3]، ونرى ابن سنان قد نوّه من أجل هذه القضية ونادى بالتلاؤم بين الألفاظ والمعاني وضرورة ترابطهما لبناء العمل الأدبي فقال: " إن الكلام غيرُ مقصود في نفسه، وإنما احتيج إليه ليعبر الناسُ عن أغراضهم ويُفهموا المعاني التي في نفوسهم، فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعاني، ولا موضحة لها فقد بُوبِنَ الغرضُ في أصل الكلام، وكان ذلك بمنزلة من يضع سيفًا للقطع، ويجعل حدّه كليلًا، ويعمل وعاءً لماءٍ يريد أن يحرزه فيقصد أن يجعل فيه خروقًا تُذهب بما يحفظ فيه "[4].

وضرب ابن سنان الأمثلة على ذلك من أقوال الشعراء قول أبي تمّام:

مـا زال يهـذي بالمكـارمِ دائبًا * حتى ظَنَنَـا أنـــه محمُـــمُ[5]**

وقوله:

وتُثْفــى الحربُ منـهُ حين تَغْلي * مَرَاجِلُهَا بشيـــطانٍ رجيـــمِ[6]**

وقوله:

[1] ابن سنان الخفاجي، المرجع السابق، ص 328.
[2] المرجع نفسه، ص 309.
[3] درية ياسين عبد الرحمان أحمد، ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية في كتابه سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 229.
[4] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، المرجع السابق، ص331.
[5] ديوان أبي تمام، 291/3.
[6] المصدر نفسه، 162/3.

ولَّى، ولم يظلِم، وهل ظلم أمرُؤٌ * حثَّ النجـاءَ وخَلْفَهُ التِّنين[1]**

ويقول الحسين بن الضّحاك[2]:

كـذا مـنْ يشـــربُ الـــــرّاحَ * مع التِنـــــين في الصـيفِ[3]**

وقول أبي نواس[4]:

جـادَ بالأمـــــوال حـــــتى * حَسِـــــــبوه الناس حُمْقـا[5]**

وقول العنبري[6]:

مـا كـان يُعطِي مِثلَهَا في مِثلِهِ * إلا كريـمُ الخِـيمِ أم مجنُـونُ[7]**

وقول أبي تمّام:

يـا أبـا جعفـرِ جُعِلـتُ فـداكَا * فاقَ حُسـنَ الوُجُوهِ حُسنُ قفاكـا[8]**

قال ابن سنان: " –يهذي–، و– المحموم–، و– الشيطان الرجيم–، و– التنين–، و– الحمق–، و– الجنون–، وذكر – القفا– من الألفاظ التي تستعمل في الذم وليست من ألفاظ المدح"[9].

---

[1] المصدر نفسه، 318/3.

[2] الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي، يكنى أبا علي، يلقب بالخليع وبالأشقر ولد ونشأ في البصرة، وتوفي في بغداد، كان من خاصة الأمين حتى قَتل ثم فرَّ إلى البصرة خوفًا من المامون ، عاد إلى بغداد في عصر المعتصم، توفي سنة 250 هـ.
أنظر تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، 54/8، وأنظر الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، 637/7.

[3] أنظر البيت في الأغاني، المرجع السابق، بغير نسبه 262/2، وانظر أشعار أولاد الخلفاء واخبارهم، الصولي 8/1.

[4] أبو نواس، هو الحسن بن الهاني، مولى الحكم بن سعد العشيرة من اليمن، يكنى أبا نواس واشتهر بكنيته، وقد انقطع إلى والية بن الحباب الذي عني بتأدبه، فلما مات واليه لزم خلف الاحمر، فحمل عنه علما كثيرا، وادبا واسعا، توفي سنة 198هـ وقال 200هـ ،
أنظر تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، 436/7.

[5] ديوان أبي نواس ، ص392.

[6] العنبري هو عبيد بن أيوب العنبري، قيل: أبو المطرز، وقيل: أبو المطراد، شاعر إسلامي، وكان لصًا، وطلبهُ السلطان أباح دمه، له أشعار كثيرة الحيوان، أنظر الجاحظ، 482/4.

[7] جاء البيت منسوبا للعنبري في كتاب الوساطة ، للجرجاني، ص 259. وكتاب الصناعتين، العسكري، ص 367.

[8] ديوان أبي تمام، 249/4.

[9] ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، المرجع السابق، ص 238.

ونخلص من حديث الخفاجي عن قضية تلاؤم اللفظ والمعنى إلى أنه يجب العناية بها عناية بالغة لأن من قائمة الفصاحة والبلاغة وضع تلك الألفاظ مواضع معانيها حتى حينما تأتي اللفظة بجانب أختها تأتي منسجمة ، الشيء الذي يزيد المعنى وضوحا وحسناً.

المطلب الثاني: النقد عند المؤلف في البنية التوصيفية.

الفرع الأول: صحة الأوصاف في الأغراض.

قد تكلم الخفاجي عن ملاحة الشعر وأشار إلى الصحة في المعاني، ومنها صحة الأوصاف في الأغراض قائلا: " ومن الصحة صحةُ الأوصاف في الأغراض، وهو أن يُمدح الإنسان بما يليق به، ولا ينفر عنه، فيُمدح الخليفةُ بتأييد الدين وتقوية أمره، ومحبة الناس وطاعتهم، والتقي والورع، والرحمة والرأفة، والعلم وحفظ الشرع، والجمال والبهاء، والهيبة والشجاعة، وكرم الأخلاق ولينها، وما يجري هذا المجرى... ويمدح الوزير والكاتب بالعقل والعلم والحلم، وسداد الرأي وحسن التدبير، والبلاغة، وتثمير الأموال، والعدل والكرم، وما يلحق ذلك، ويمدح الأمير وقائد الجيش بالشجاعة والمعرفة بالحرب، وحسن النقيبة والظفر، والصبر وسداد التدبير، وما أشبه ذلك.

وعلى هذا السبيل يجري الأمر في النسيب، فيُذكر فيه صدقُ الهوى والمحبة، وشدةُ الوجد والصبابة، وكتمان الأسرار، ومخالفة العُزَّال، وما يتفرع عن ذلك ويلحق، وكذلك في كل غرض من الأغراض الشعرية، من هجاءٍ وفخرٍ وعتابٍ ووصفٍ وغير ذلك، حتى يكون كل شيء موضوعًا في المكان الذي يليق به "[1].

وما وضعه ابن سنان من تحليل دقيق مستقر سداه مراعاة مكان الخطاب شعرًا كان أو نثرًا ونبّه إلى أثر زمان الخطاب، بحيث أن الخطاب يتغير بحسب زمان المخاطب.

[1] ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، المرجع السابق، ص 381.

وأورد الخفاجي أمثلة لم تراعى فيها تلك المعايير النقدية التي وضعها من ذلك قول أبي عبادة في مدحه للخليفة[1] :

لا العـذل يردَعُـه ولا التعنيــفُ * عـــــن كـــــرمٍ يَصُـــــدُهْ[2]**

وقيل من هو الذي يجسر على عذل الخليفة وتعنيفه، وليس هذا المدح مما يصلح للملوك والأمراء فضلاً عن الأئمة والخلفاء.

وعيب على أبي العتاهية[3] قوله :

إنــي أعــوذُ مـنَ التـي شغفت * منـي الفُـؤادَ بآيــةِ الكرســـي[4]**

وقيل: إنما يستعاذ بآية الكرسي من الشيطان.

وقال ابن سنان بعد أن أورد عدة أمثلة في هذا المجال: " وأمثال هذا أكثر من أن تحصى مما وقع فيه إفساد الأغراض والصفات "[5].

وفي باب صحة الأغراض نجد الخفاجي لا يوافق ما ذهب إليه قدامة بن جعفر في أن المدح بالحسن والجمال، والذم بالقبح والدمامة ليس بالمدح على الحقيقة ولا ذم على الصحة فيقول: "وقد كان أبو فرج قدامة بن جعفر الكاتب يذهب إلى أن المدح بالحسن والجمال، والذم بالقبح والدمامة ليس يمدح على الحقيقة، ولا ذم على الصحة، ويخطئ كل من يمدح بهذا، ويذمُ بذاك.

---

[1] الخليفة المعتز بالله أبو عبد الله محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد ابن الرشيد العباس، قيل اسمه الزبير، وكان طويلا أبيض أسود الشعر كثيفه حسن الوجه والعينين والجسم ضيق الجبهة احمر الوجنتين، ولد بسامراء وبقي منذ بويع أربع سنين وذلك يوم الخميس لسبع خلون من محرم سنة 25هـ قتل في الثالث من شعبان سنة 55هـ، مدة خلافته سنتان وإحدى عشر شهرًا وعمره إثنان وعشرون سنة.
أنظر سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل التوالي، عبد الملك حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت،1998م، 4/3.

[2] ديوان البحتري، 614/1.

[3] أبا العتاهية، هو اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني أبو اسحاق، ولد في عين تمر سنة130هـ، انتقل للكوفة كان بائع الجرار، مال للعلم والأدب ونظم الشعرحتى نبغ فيه،ثم انتقل الى بغداد ، واتصل بالخلفاء ومدح منهم المهدي والهادي وهارون الرشيد،التفت لثم هجر الشعر فسجنه الخليفة هارون الرشيد ان لم يعد له، فعاد لنظمه، توفي ببغداد عام 213هـ. وقيل عام 826هـ.
أنظر كتاب الموجز في الشعر العربي ،فالح الحجية.

[4] ديوان أبي العتاهية، ص 570.

[5] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة ، المرجع السابق، ص 396.

ويستدل بإنكار عبد الملك بن مروان[1] على عبيد الله بن قيس الرقيات[2] قوله له:

يـأتَلِقُ التـاجُ فـوقَ مَفرِقـِهِ * علـى جبيـنٍ كأنــهُ الـذهـبُ[3]**

وقوله له: تقول فيَّ هذا وتقول لمصعبٍ:

إنمـا مُصـعبٌ[4] شـهابٌ من اللـ * ـه تجلَّت عنْ وجهـه الظَّلمَاء[5]**

وبيَّن ابن سنان رأيه موضحا قصور ما ذهب إليه قدامة ابن جعفر قائلاً: " فأما إنكارُ الملك بن مروان على ابن قيس الرقيات مدحه له بالتاج، فإنما أنكره لأن التيجان كانت من ذي ملوك العجم، ولم يكن حلفاء العرب يعرفونها، فقال له تمدحني كما تُمدح ملوك الأعاجم، وتمدح مصعبًا كما تُمدح الخلفاء، والأمر على ما قال عبد الملك، لأن مدح الخليفة بأنه شهابٌ من الله أبلغ من مدحه باعتدال التاج فوق مفرقه "[6].

الفرع الثاني: التكلّف والصّنعة.

وجد النقاد بعد نظرة فاحصة للشعر وأساليبه أنه لا يخرج عن ثلاث أضرب، المطبوع، المصنوع، والمتكلف.

الضرب الأول المطبوع وهو ذلك الذي يقصد به أولا وقبل كل شيء إبراز المعنى وبسطه، وإبلاغه إلى النفس في صورة قوية محكمة، لها حظها من فصاحة الكلام وجزالته، يقف الشاعر فيها أمام إنتاجه يقويه ويصفيه، يريد بالكلام أن يبلغ غايته من ناحية الوضوح والقوة والجمال ..،

[1] أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي، ولد سنه 26هـ الخليفة الخامس من بيني امية والمؤسس الثاني للدولة الاموية،ولد في المدينة وتفقه بعلوم الدين،استلم الحكم سنة، 65هـ،في وقت كثرت فيه الفتن والانقسامات، في الكوفة ، حكم لمدة 21 عاماً،فترة حكمه امتلأت بالصراعات والحروب،توفي عام 86هـ بدمشق.
أنظر كتاب الكامل في التاريخ، ابن الجزري تحقيق محمد يوسف دقاق، المجلد الرابع، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان، ص 238.

[2] هو عبد الله بن قيس بن شريح ، أحد بني عمرو بن عامر بن لؤي، يكنى أبا هاشم، ويعرف بابن قيس الرقيات ، وذلك لأنه تزوج أو شبب بنسوة كل واحدة منهن اسمها رقية، منقطعا إلى آل الزبير، فمدح مصعب بن الزبير وهجا عبد الملك بن مروان.

[3] ديوان عبد الله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، ص4.

[4] مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن العزي بن قصي بن كلاب بن عبد الله القرشي ويقال أبو عيسى أيضا الأسدي، وامه كرمات بنت أنيف الكلبية، وكان من احسن الناس وجها واشجعهم قلبا وأسخاهم كلفا، فكانت عطاياه للقوي والضعيف والوضيع والشريف، قتل في جمادي الآخرة سنة إحدى وسبعين وكان قد ولي العراق خمس سنين.
أنظر كتاب البداية والنهاية، ابن كثير القرشي، 317/8.

[5] ديوان عبد الله بن قيس الرقيات، ص91.

[6] ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 398.

والضرب الثاني المصنوع، هو الذي يقف الشاعر فيه يغير ويبدل، كي يظفر بمحسن بديعي، ولكن الشاعر لا يتلمس البعيد من ذلك، .. ولا يعيبون في المصنوع الاستكثار من ألوان المحسنات، وأما الضرب الثالث المتكلف، الشاعر فيه يكون همّه الأول أن يملأ شعره بالصنعة والزّخارف، يتلمسها طوعًا وكرهًا، ولا يبالي أن يكون المعنى غامضًا أو تافهًا، قريبا أو بعيدا،.. ذا قيمة أو لا قيمة له[1].

والكاتب ابن سنان الخفاجي من الذين عالجوا قضية التكلف والصنعة وأشاروا إلى ذلك حيث يقول: " وليس يُغفر للشاعر لأجل ما يُلزم به نفسه ذنبٌ، ولا يغفل له عن خطأ، إذا كان حظر المباح وحرم الحلال، واعتمد تكلُّف النصَب طوعًا واختبارًا، وهوى قصدًا، لكنه لعمري إذا أتانا بالسليم من الذلل، البعيد من التكلف والخطأ، وكان كذلك في ما أخذ صعب، ومسلك وعرٍ وحمدناه الحمد الكامل، ووصفناه الوصف التّام "[2].

ويزيد الأمور بيانا وتوضيحا ابن سنان عندما تكلم عن كل من الاستعارة، والسجع، والترصيع، وغيرها، فمثلا نراه يصف استعارة في بيت أبي تمام[3] من التكلف والصنعة في قوله:

وكم أحرَزَت منكُم على قُبحِ قَدّها * صُرُوفُ النوَى من مُرهَفٍ حَسنِ**

يقول: " فإن الاستعارة – القد– لصروف النوى من أبعد ما يقع في هذا الباب وأقبحه، وإنما يقود أبا تمام إلى هذا وأمثاله رغبته في الصّنعة، حتى كأنه يعتقد أن الحسنَ في الشعر مقصورٌ عليها، فيورد منه لأجل التكلف ما لا غاية لقبحه، ويسعده الخاطر في بعض المواضع فيأتي بالعجائب والغرائب "[4].

[1] بدوي طبانة، أسس النقد الأدبي، المرجع السابق، ص 487.
[2] ابن سنان الخفاجي، مرجع سابق، ص89.
[3] أبا تمام، سبقت ترجمته، ص 41.
[4] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، المرجع السابق، ص 192.

وفي السجع نادى أن لا تكون الرسالة كلها مسجوعة على حرف واحد قائلًا: " لأن ذلك يقع تعرضًا للتكرار وميلًا إلى التكلّف، وقد استعمل ذلك في الخطب وغيرها من المنثور وهو يقع في المكاتبات خاصةً "[1].

كما أورد ذلك في الترصيع " وهو أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء في البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة، وكان ذلك شُبه بترصيع الجوهر في الحلي، وهذا ما قلناه إنه لا يحسن إذا تكرر وتوالى، لأنه يدل على التكلّف وشدة التصنع وإنما يحسن إذا وقع قليلًا نافر "[2].

ومن الأمثلة التي مثل بها من الشعر ما قالته الخنساء[3]:

حامِي الحقيقةِ محمودَ الخليقةِ * مهديُ الطريقةِ نفـاعٌ وضـرارُ[4]**

جـواب قاصيـةٍ جـزار ناصيــةٍ * عقـادُ ألويــةٍ للخيـل جَــرارُ**

وقول امرؤ القيس[5]:

فُتُــورُ القِيَـامِ قَطيــعُ الكـلامِ * تَفتــرُّ عن ذي عُــرُوبٍ خَصـرِ[6]**

وقول أبي العلاء المعري[7]:

ألفـتِ المــلاَ تَعلمـتِ بالفــلاَ * رُنُوَّ الظَلَى أو صَنَعةَ الآلِ في الخَدعِ[8]**

وذكر الخفاجي هذه الأمثال والتي نحو ذلك إذا كان فيها التصنع قدراً يسيراً حسُنَ، فأما إذا توالى وكثر فإنه يقبح، لدلالته على التكلف.

---

[1] المرجع نفسه، ص 262.
[2] المرجع نفسه، ص 279.
[3] الخنساء هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رباح بن يقظة ابن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بعثة ، وهي شاعرة، رثت أخويها، صخرًا ومعاوية،والخنساء لقب غلب عليها.
أنظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، 533/7.
[4] ديوان الخنساء، دار صادر بيروت ، لبنان، ص49.
[5] امرؤ القيس، سبقت ترجمته، ص 44.
[6] ديوان امرؤ القيس، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ص 233.
[7] أبو العراء المعري، سبقت ترجمته، ص 23.
[8] أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص 336.

وعن ما ذكره في التكلف فقد عرض إلى التساوي في مقدار النثر فقال: " فأما الكلامُ المنثور فالأحسنَ منه تساوي الفصول في مقاديرها، وأن يكون الفصل الثاني أطول من الأول، وعلى هذا أجمع الكتاب وقالوا: لا يجوز أن يكون الفصل الثاني أقصرَ من الأول، والذوق يشهد فيما قالوه، ويقضي بصحته، ولهذا السبب استقبحوا إطالة الفصول، لئلا يُؤتى بالجزء الأول طويلا فيُحتاج إلى إطالة الثاني له، ليساويه، أو يزيد عليه، فيظهر في الكلام التكلف ويقع ما لا حاجة للمعنى والغرض إليه "[1].

الفرع الثالث: الوضوح والغموض

يعد ذلك من المقاييس المهمة عند نقّاد العرب، فغموض المعنى يحط من قيمة الشعر، أما وضوح معناه يعبّر عن جودته، وهذا ما يؤثر عند النقاد ومنهم ابن سنان الخفاجي الذي وضع وضوح المعنى من شروط الفصاحة والبلاغة فقال: " ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام واضحًا ظاهرًا جليًّا، لا يحتاج إلى فكرٍ في استخراجه، وتأملٍ في فهمهِ، وسواء كان ذلك الكلام الذي يحتاج فهمه منظومًا أو منثورًا "[2].

ويقول: " ثم لا يخلو أن يكون المعبِّر عن غرضه بالكلام يريد إفهام ذلك المعنى أو لا يريد إفهامه، فإن كان يريد إفهامه فيجب أن يجتهد في بلوغ هذا الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه، وإن كان لا يريد إفهامه، فليدع العبارة عنه فهو أبلغ في غرضه "[3].

وقد أوضح الخفاجي الأسباب التي من أجلها يكون المعنى غامضا في الكلام بقوله: " الأسباب التي من أجلها يغمض الكلام على المسامع ستة اثنان منها في اللفظ بانفراده، واثنان في تأليف الألفاظ بعضها مع بعض واثنان في المعنى، فأما اللذان في اللفظ بانفراده فأحدهما أن تكون الكلمة غريبة "[4].

[1] ابن سنان الخفاجي ، سرّ الفصاحة، المرجع السابق، ص 283.
[2] مرجع سابق، ص 330.
[3] المرجع نفسه.
[4] المرجع نفسه، ص 331.

ومثل ذلك قول عنترة[1] :

شَربتْ بمـاءِ الدُحرضَين[2] فأصبحتْ * زَوْرَاءَ[3] تنفِرُ عنْ حياضِ الدَّيلَمِ[4]**

فقال ابن سنان: " ولعلّ عنترة أراد ذكر الماء المشروب حقيقة وإلا لو أمكنه أن يذكر اسم مورد من الموارد يجري هذا المجرى كان حسنًا وأليق...، والآخر أن تكون الكلمة من الأسماء المشتركة في تلك اللغة كالصّدى الذي هو العطش والطائر، والصوت الحادث في الأجسام ...، فأما استعمال الألفاظ المشتركة كالصدى فإنه يحسن في فصيح الكلام إذا كان اللفظ دليلٌ على المقصود، مثل قول أبي الطيب[5]:

ودعْ كلَ صوتِ غيرَ صوتي فإني * أنا الصـــائِحُ المَحِكـيُّ والآخر**

فإن الصدى هاهنا لا يُشْكِلُ بالصدى الذي هو العطش، ولا يسبق ذلك إلى فهم أحدٍ من السامعين، فأما إن كان ذلك في موضعٍ يُشكل فليس ذلكَ بموافق للفصاحة "[6].

أما اللذان في تأليف الألفاظ فأحدهما فرط الإيجاز، والآخر إغلاق اللفظ كأبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي وغيره .

ومثال فرط الإيجاز الذي يخل بالمعنى قول الحارث ابن حلزة :

والعـــــيشُ خـــــيرٌ في ظـــلالِ * النـوكِ[7] ممـــن عـاشَ كـدًّا[8]**

---

[1] عنترة بن شداد بن معاوية العبسي، وهو احد أغربة العرب، ولم يلحقه أبوه بنسبه إلا بعد كبره، وكان اشد أهل زمانه، وأجودهم بما ملكت يداه، شهد حرب داحس والغبراء، وأبلى فيها بلاءً حسناً.
أنظر كتاب طبقات تبن سلام، 152/1، وأنظر الأغاني، أبو فرج الاصبهاني، 237/8.

[2] الدحرض: ماء بالقرب منه ماء، يقال له - وسيع- فيجمع بينهما فيقال الدحرضان، أنظر معجم الادباء ياقوت الحموي 44/2.

[3] الزوراء: المائلة.

[4] الديلم: الأعداء، أنظر ديوان عنترة، ص 201.

[5] ابي الطيب المتنبي ، سبقت رجمته، ص 50.

[6] ابن سنان الخفاجي، المرجع السابق، ص 83.

[7] النوك: الحمق، والأحمق .

[8] نُسِب البيت لحارث بن حلزة في كتاب الأغاني ، أبي الفرج الأصبهاني، 50/11.

فأراد أن يقول والعيش الناعم في ظلال النوك، خير من العيش الشاق في ظلال العقل ، فأخل بأكثر المعنى "[1].

وأما الآخر فقال الخفاجي: " فأما الذي يُسأل عن معناه، ويُفكر في فهمه، كالأبيات التي من شعر أبي الطيّب المتنبي، وقد نعاها عليه صاحبه أبو القاسم بن عبّاد رحمه الله، وكان يسميها رُقى العقارب، والناس إلى اليوم مختلفون في معاني بعضها .. كقوله:

عيونُ رَواحِلي إنْ حِرتُ عيني * وكُلُ بُغامٍ رَازِحةٍ بُغامِي[2]**

قال الخطيب: عيون رواحلي تنوب عني، إذا ضللت اهتدي بها، وصوتها إذا احتجت إلى أن أصوت يسمع الحي يقوم مقام صوتي وإنما بغامي على الاستعارة.

وأما اللذان في المعنى فأحدهما: أن يكون في نفسه دقيقًا، ككثير من مسائل الكلام في اللطيف، والآخر أن يُحتاج في فهمه إلى مقدمات[3] .

ونجد تلك الأسباب التي تخفى بها المعاني وتؤدي إلى التعقيد، وتلاقي هذه الأسباب يؤدي إلى الوضوح الذي ينشده المتلقون ويتطلبه كثير من النقاد، وهذا التعقيد مذموم منذ أقدم العصور، ومن أقدم الكلمات في كراهته والتحذير منه ما كتبه بشر بن المعتمر في صحيفته المنشورة: "وإياك والتوعرَ في الكلام فإنه يسلمك فإلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويمنعك من مراميك"[4].

ونرى أيضا أنه ينادي بالترفُّع عن العبارات المبتذلة ومثال ذلك في شعر المتنبّي:

خَلُوقيــةٌ فــي خَلُوقِيَّتِهــا * سُوَيْداءَ مـن عِـنَـبِ الثَّعلَـبِ[5]**

[1] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة المرجع السابق، ص 324.
[2] ديوان المتنبي 143/4.
[3] ابن سنان الخفاجي، المرجع السابق، ص 332.
[4] أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ص 86.
[5] ديوان المتنبّي، 147/1.

فقال : " فإن – عنب الثعلب– مما أقول: إن العامة لو نظمت شعرًا لترفعت عن ذكره "[1]، ومن ذلك نرى أن ابن سنان ينادي بالوضوح والبيان كما قال دكتور محمد زغلول سلام: " بالرغم من حديثه عن كثير من فنون المعاني وأقسامها التقليدية اشترط فيها البيان والوضوح، ولم يمل في الاستعارة والتشبيه والتمثيل إلى الغموض، لأنه يرى الغرض من هذه الفنون التعبيرية زيادة الكلام وضوحًا وإبانة، فالتشبيه استدلال بالمحسوس على ما ليس محسوسًا، وأما الاستدلال بالتمثيل فلأن الكلام معنى يدل على صحته بذكر مثال له قول أبي تمام ".

وإذا أرَادَ الله نشـــرَ فضيــلةٍ * طُوِيَت أتاحَ لها لسـانَ حسُودِ**[2]

لولا اشتعالُ النار فيما جاورت * ما كـان يُعرفُ طيبُ عرف العود**

ويرى الدكتور زغلول: " أنه لا ينبغي أن يفرق الشعر عن النثر في وجوب الوضوح، ولما كان النثر يحقق الشرط في أتم صوره، والشعر بعضه يحنو نحو الغموض فالنثر من الناحية أفضل من الشعر كأداة للتعبير والبيان على هذا المفهوم، فهو أداة تعبيرية أكثر اكتمالاً ونفعا لحياة الناس "[3].

[1] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص92.
[2] ديوان أبي تمام، 324/2.
[3] محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الادبي من القرن الخامس هجري، دار المعارف، مصر، ص261.

خاتمة

خلاصة القول إن عنوان الكتاب "سرّ الفصاحة" يختزل مضمونه، ويكشف عن قدرة مؤلِفه البلاغية و رؤيته النقديّة ، وبناءًا على هذا تمّ التوصّل إلى النتائج الآتية:

1- جهود ابن سنان الخفاجي في شروط اللفظة المفردة أفاد منها ضياء الدين ابن الأثير في كتابه – الجامع الكبير-.

2- اختلف ابن سنان في تعريف النظم بمعناه الذي عرّف عند معاصره عبد القاهر الجرجاني، فقد استعمل النظم بمعنى النسق وهو اللون الذي عرف عند المتأخرين بحسن التخلص في البديع، كما استعمله في مقابلة النثر، وأراد من النظم الشعر، واستعمله في وضع موضع الألفاظ .

3- حدد مفاهيم الإيجاز والمساواة والإطناب حيث جاء حديثه ذلك في شروط تحقيق سرّ الفصاحة.

4- بيّن موقفه من قضية النظم حيث تناولها من باب فصاحة اللفظة وفصاحة المنظوم، وأن لا يكون فيها تقديم أو تأخير فلا يكون مقلوبا حتى لا يُفسد المعاني ويصرفها عن وجهه.

5- قد أخضع الخفاجي قضية القافية للدراسة النقدية بخصائص الشعر، وأورد أن الحفاظ على الوزن من غير حشو وإطناب من المستحسن في نظم الشعر.

6- تركيز المؤلف على العناية بتلاؤم الألفاظ والمعنى عناية بالغة لأن من قائمة الفصاحة والبلاغة وضع تلك الألفاظ مواضع معانيها.

7- تكلم ابن سنان عن الفصاحة مشيرا إلى الصحة في المعاني وصحة الأوصاف في الأغراض بأن يمدح أو يذم الإنسان بما يليق به شعرًا كان أو نثرًا.

8- أورد الكاتب في قضية التكلف والصنعة في المنظوم والمنثور موضحا ضرورة الابتعاد عنها وعدم الإكثار منها، دون الغموض في المعاني إن كان يريد إفهام معناه ووجوبه الاجتهاد في هذا الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه.

تم بحمد الله وتوفيقه

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

أولا: القواميس والمعاجم

1- ابن منظور، **لسان العرب**،، دار الكتب العلمية، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003.

2-**المعجم الوسيط** ، مكتبة الشروق الدولية، مصر، طبعة 4، 1425هـ-2004م.

ثانيا: المصادر.

3-ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، دار قبا للطباعة والنشر، 2003.

4-ابن حجة الحموي :**خزانة الأدب وغاية الأرب** ، المحقق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت. لبنان، 2004م.

5- أبو عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان:**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، المحقق: إحسان عباس،ج 5، دار صادر، بيروت، لبنان، 1900م.

6-أبي الفداء : **المختصر في أخبار البشر** ،الطبعة: الأولى، الناشر: المطبعة الحسينية المصرية.

7-أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن هادي بن أحمد الجوزي: **المدهش**، تحقيق: مروان قباني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ- 1985م.

8-أبو الفرج الأصبهاني : **الأغاني**، تحقيق: على مهنا وسمير جاهر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.

9-أبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي : **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس**، هذبه: محمد بن جلال الدين المكرم ابن منظور،المحقق: إحسان عباس، ج2، طبعة1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م.

10- جكال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

11- ضياء الدين : **الجامع الكبير**، تحقيق: جميل سعيد، ومصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.

12- عبد القادر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمد رضوان الداية، و فايز الداية، دار الفكر، ط1، 2008.

13- محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى: **فوات الوفيات**، ط: بولاق، 1283هـ.

14- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله :**أنظر سير أعلام النبلاء**، ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط محمد نعيم العرقسوسي، دار مؤسسة الرسالة، بيروت،ط9، 1413هـ.

ثالثا: مراجع عامة.

15- ابن الجزري تحقيق محمد يوسف دقاق، **الكامل في التاريخ**، المجلد الرابع، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان.

16- إبن سلام الجمحي ، **طبقات فحول الشعراء** ، تحقيق محمود ، محمد شاكر ، الطبعة الثانية مطبعة المدني ، القاهرة ، 1974م.

17- أبو الهلال العسكري : **ديوان المعاني** ، ج1، ط1 ، دار الأضواء، 1989م.

18- أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية، بيروت.

19- بدوي طبانة، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، مكتبة النهضة، ط2، القاهرة، مصر، 1960م.

20- شمس الدين الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ،ج8 ، طبعة 1427هـ/2006م ،دار الحديث، مصر.

21- سامي الّدهان : **قدماء ومعاصرون**،دار المعارف بمصر.

22- سعود عبد الجبار: **النقد الأدبي القديم أصوله وتطوره**، الطبعة الأولى ، الأردن، 2000م.

23- عبد العزيز عتيق : **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان.

24- عمر الصباغ ، (**الراغب الأصفهاني وكتابه**) - **محاضرات الأدباء**،ج 1 ، الطبعة 5، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، 1420هـ.

25- محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، **المؤشح في مآخذ العلماء على الشعراء** ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1385هـ.

26- محمد غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**، دار العودة- دار الثقافة، لبنان، د.ط، 1973،.

27- محمد باقر الحسيني، **النقد الأدبي في العصر العباسي**، مجلة التراث الأدبي، العدد الثالث، 1388هـ.

28- محمد زغلول سلام، **تاريخ النقد الادبي من القرن الخامس هجري**، دار المعارف، مصر.

29- مصطفى عبد الرحمن: **في االنقد الأدبي القديم عند العرب**، مكة للطباعة، دط، 1991م،.

رابعا: مذكرات ورسائل جامعية وبحوث.

30- درية ياسين عبد الرحمان أحمد، **ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية في كتابه سر الفصاحة**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في البلاغة ،كلية اللغة العربية، جامعة ام درمان الإسلامية، سنة 2009م.

31- قدر اسرافيل إدريس، **مؤلف (كتاب سر الفصاحة) وحياته العلمية والأدبية ابن سنان الخفاجي.**

32- ميريهان مجدي محمود، **الشروط التي يجب توافرها في الناقد الأدبي** ،بحث في: النقد الأدبي، قسم اللغة العربية، كلية اللغات- جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

خامسا: الدواوين الشعرية.

33- **ديوان أبي تمام** ، تحقيق راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، 1994م.

34- **ديوان أبي الطيب المتنبي**، دار صادر ،بيروت، لبنان، 1983م.

35- **ديوان أبي نواس**، دار صادر ، بيروت ،لبنان.

36- **ديوان امرؤ القيس**، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان.

37- **ديوان البحتري**، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر.

38- **ديوان الخنساء**، دار صادر بيروت ، لبنان.

39- **ديوان زهير بن أبي سلمى**، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية 1988م.

40- **ديوان عبد الله بن قيس الرقيات**، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت.

41- **ديوان عدي بن زيد الانصاري**، تحقيق محمد الجبار المعيبد، مديرية الثقافة والإرشاد، بغداد.

42- **ديوان عروة بن الورد**، تحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكب العلمية، 1988م.

43- **ديوان مهيار الديلمي**، شرح وضبط، أحمد سالم، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط1 1999م- 1420هـ.

44- **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، 1996م.

45- **ديوان نصر بن نباتة السعدي**، تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي،وزارة الإعلام، بغداد، 1977م.

سادسا: المجلات العلمية.

46- عبد القادر هني، **قراءة في كتاب"دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي"**، مجلة مقاليد، العدد الخامس، ديسمبر 2013.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء.	
شكر وتقدير.	
مقدمة.	أ
الإشكالية.	أ
أسباب اختيار الموضوع وأهميته.	أ
الدراسات السابقة.	أ، ب
منهج الدراسة.	ب
خطة الدراسة.	ب، ج
الفصل الأول: نشأة النقد وتطوره.	
تمهيد.	6
المبحث الأول: مفهوم النقد الأدبي.	7
المطلب الأول: تعريف النقد الأدبي.	7
الفرع الأول: تعريف النقد الأدبي لغة.	7
الفرع الثاني: تعريف النقد الأدبي اصطلاحا.	7
المطلب الثاني: خصائص الناقد الأدبي.	8
المبحث الثاني: النقد الأدبي عبر العصور.	11
المطلب الأول: النقد في العصر الجاهلي.	11
المطلب الثاني: النقد في صدر الإسلام.	11
الفرع الأول: عصر الرسول ﷺ.	12
الفرع الثاني: عصر الخلفاء الراشدين.	13
المطلب الثالث: النقد في العصر الأموي.	14
المطلب الرابع:النقد في العصر العباسي.	15
الفصل الثاني: حياة مؤلف كتاب _ سرّ الفصاحة_ ابن سنان الخفاجي.	
تمهيد.	18

المبحث الأول: تعريف ابن سنان الخفاجي.	19
المطلب الأول: الحالة السياسية والاجتماعية في عصر المؤلف.	19
المطلب الثاني: مولد ابن سنان الخفاجي.	21
المطلب الثالث: شخصية المؤلف ابن سنان الخفاجي وصفاته العلمية والثقافية.	23
الفرع الأول: المكونات الشخصية للمؤلف.	23
الفرع الثاني: صفات المؤلف العلمية.	25
المبحث الثاني:وفاة المؤلف بن سنان الخفاجي وآثاره.	30
المطلب الأول: وفاة ابن سنان الخفاجي وذكره في كتب اللاحقين.	30
الفرع الأول: وفاة ابن سنان الخفاجي.	30
الفرع الثاني: ذكر المؤلف في كتب اللاحقين.	30
أولا: كتاب (المثل السائر) لضياء الدين بن الأثير.	31
ثانيا: كتاب (الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور) لابن الأثير.	31
ثالثا: كتاب (سرور النفس بمدارك الحواس الخمس).	32
رابعا: كتاب (خزانة الأدب وغاية الأرب) لابن الحجة الحموي.	32
خامسا: كتاب (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) لإحسان عباس.	32
المطلب الثاني: آثار المؤلف ابن سنان الخفاجي العلمية الأدبية.	33
الفرع الأول: كتاب في – سر الفصاحة–	33
الفرع الثاني: ديوان في الشعر.	33
الفرع الثالث: كتاب في الصّرفة.	34
الفصل الثالث: قضايا النقد في كتاب سرّ الفصاحة.	
المبحث الأول: التعريف بكتاب سرّ الفصاحة.	36
المطلب الأول: عرض الكتاب والغرض من تأليفه.	37
المطلب الثاني: منهج كتاب سرّ الفصاحة.	41
الفرع الأول: عقد الموازنات الأدبية وإخضاع المختارات والأمثلة لمعيار دقيق في الاختيار.	42

الفرع الثاني: التّأمل والتفكر مع الحياد الأدبي والعلمي بين القديم والحديث.	44
الفرع الثالث: الحريّة والدّقة في البحث والنّقد مع الحرص على الأمانة العلمية.	45
المبحث الثاني: النقد عند ابن سنان الخفاجي.	47
المطلب الأول: النقد عند المؤلف في البنية التركيبية.	47
الفرع الأول: قضية النظم.	47
الفرع الثاني: قضية الوزن والقافية.	50
أولا: الوزن.	50
ثانيا: القافية.	52
الفرع الثالث: قضية التلاؤم بين اللفظ والمعنى.	54
المطلب الثاني: النقد عند المؤلف في البنية التوصيفية.	58
الفرع الأول:صحة الأوصاف في الأغراض.	58
الفرع الثاني: التّكلف والصنعة.	60
الفرع الثالث: الوضوح والغموض.	63
خاتمة.	68
النتائج.	68
قائمة المصادر والمراجع.	71
فهرس الموضوعات.	76